

أكثر أبو هريرة

- دراسة تحليلية نقدية -

د. مصطفى بو هندي

أَكْثَرُ
أَبُو هُرَيْرَةَ

الدكتور مصطفى بوهندي

أَكْثَرُ أَبُو هُرَيْرَةَ

دراسة تحليلية نقدية

الطبعة الأولى أبريل 2002
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أكثر أبو هريرة

للدكتور مصطفى بوهندي

* أبو هريرة من أكثر الرواة تحديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "اختلف في اسمه على أقوال جمة" وكذا في اسم أبيه "سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج 2 ، ص 678) ، روي عنه أنه قال "قدمت والله ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقيمت معه حتى توفي أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو وأحج معه وأصلي خلفه فكنت والله أعلم الناس بمحدثه " (سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج 2 ص 605) . اختلف في سنة وفاته ، قال الواقدي : " كان يزل ذا الحليفة وله دار تصدق بها على مواليه ومات سنة تسع وخمسين ، وله ثمان وسبعون سنة ، وهو صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين ، قال وهو صلى على أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، قلت (أي الذهبي) الصحيح خلاف هذا " (سير أعلام النبلاء ، الذهبي 626/2) و " قال عمر بن هانيء العنسي قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني سنة ستين فتوفي فيها أو قبلها بسنة " (المرجع نفسه) .

يعتبر أبو هريرة من أكثر الناس رواية للحديث النبوي ؛ فعدد أحاديثه المروية في الكتب التسعة ، حسب ترقيم العالمية، تصل إلى 8740 حديثا على 62169 حديثا، وهي تمثل نسبة 14.05 % من مجموع الأحاديث؛ أي ما يزيد على سبع هذه الأحاديث.

ويغلب على روايته طابع القصص وأخبار الأمم السالفة ، إذ أن ما يقارب ربع الأحاديث المتعلقة بأخبار الأمم السالفة في الكتب التسعة، راويها هو أبو هريرة ، وتصل هذه النسبة إلى 26.25 % عند البخاري، وإلى 68.49 % عند الإمام مسلم، مع التأكيد على خصوصيات مروياته وما تثيره من تساؤلات وإشكالات لدى الدارسين والنقاد قديما وحديثا. إن المتأمل في أحاديث أبي هريرة يجد أن مسألة إكثاره من الرواية، وانفراده بما لم يرو عن الصحابة مهاجرين وأنصارا كانت محط جدل في عصره ، وقد أثارها أبو هريرة في غير ما رواية ، و رد عليها ردودا تحتاج إلى غير قليل من التأمل والمدارسة.

الإكثار من الرواية وتسأؤل الناس عليه

ف عند البخاري بسنده ، يقول أبو هريرة:

-إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة¹.

-إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم².

-يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعود³.

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴.

وعند مسلم بسنده:

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵.

وعند الإمام أحمد بسنده قال أبو هريرة :

¹ -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

² -صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906.

³ -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة، حديث 2179.

⁴ -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

⁵ -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد⁶ .

-إنكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله الموعد⁷ .

إن هذه الروايات التي يرويها أبو هريرة نفسه عن أقوال الناس و "مزاعمهم" بشأن إكثاره من الرواية، تبين إلى أي مدى كان هذا الموضوع مثارا في عصره ومن طرف معاصريه، مما دعاه إلى التطرق إلى هذا الأمر والرد عليه ، واتهام مثيريه بأنهم أخطأوا في حقه وسيدعوهم إلى الله (والله الموعد) وهو الذي سيحكم بينهم.

⁶ -مسند أحمد، باقي مسند للكثيرين ، حديث 6976.

⁷ - مسند أحمد ، باقي مسند للكثيرين ، حديث 7380.

الأنصار والمهاجرون لا يروون مثل روايته:

أورد البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال:

-وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة⁸.

-ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه⁹.

وعن الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال:

-إنكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الأحاديث ، وما بال الأنصار لا يحدثون عن رسول الله بهذه الأحاديث¹⁰.

إن أبا هريرة كان على علم بما في أحاديثه من الاختلاف عن أحاديث غيره من الصحابة الآخرين مهاجرين وأنصارا ، فهم لا يحدثون مثل حديثه ولا يكثرون مثل إكثاره ، وهو ما دعاه إلى الرد على الناس وتبرير إكثاره ومخالفته.

⁸ -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 1906.

⁹ -صحيح البخاري ، كتاب الزراعة ، حديث 2179.

¹⁰ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7380.

كتمان العلم:

روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال:

-ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) إلى قوله (الرحيم) ¹¹ . ¹²

-والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) ¹³ إلى قوله (الرحيم) ¹⁴ .

وروى مسلم بسنده إلى أبي هريرة قال:

-ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) ¹⁵ إلى آخر الآيتين ¹⁶ .

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة قال :

-والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت عنه -يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم - شيئاً أبداً لولا قول الله (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) ¹⁷ إلى آخر الآيتين. ¹⁸

¹¹ -سورة البقرة ، آية 159-160.

¹² -صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث 115.

¹³ -سورة البقرة ، آية 159-160.

¹⁴ -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

¹⁵ -سورة البقرة ، آية 159-160.

¹⁶ -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4549.

¹⁷ -سورة البقرة ، آية 174 .

تبعاً لهذه الروايات فإن أبا هريرة لم يدفعه إلى التحديث بهذه الأحاديث إلا الخوف من كتمان العلم الوارد في المقطعين المذكورين من القرآن ، فهو بذلك يعتبر أن ما عنده من الأخبار علم لا ينبغي كتمانها ، وأنه المقصود في المقطعين من القرآن : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ¹⁹ . وهو بذلك يجعل الأخبار التي يشها في الناس من البينات والهدى الذي بينه الله في الكتاب ، ولذلك فلا يجوز كتمانها ، وهي روايات تخالف ما رواه أبو هريرة نفسه عن الأكياس والأوعية التي كتم ما فيها خوفاً من "أن يقطع هذا العلوم" ²⁰ ، فهل يخشى أبو هريرة الله أم الناس؟! وهل يكون منعه من "القص والتحديث" على عهد عمر وعثمان كتماناً للعلم كذلك؟!..

إذا كانت الأحاديث التي ينفرد بها أبو هريرة من البينات والهدى المبين في الكتاب ولا يحدث بها أحد من المهاجرين والأنصار ، فهل كتموا هذا الجزء من الكتاب؟! أم أن أبا هريرة كان وارث سر رسول الله صلى الله

18 - سنن ابن ماجه ، المقدمة ، حديث 258 .

19 - سورة البقرة ، آية 159-160 .

20 - روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة ، في كتاب العلم ، حديث 117 ، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين ، فأما أحدهما فينته وأما الآخر فلو ينته قطع هذا العلوم".

فأعلمه به دونهم ، وكان منهم السابقون والمهاجرون والذين تبوءوا الدار
والإيمان ؟ ولماذا لم يكن أبو هريرة مرجعا للصحابة في هذا العلم الخاص
الذي أثره به دونهم ؟!.

ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن أبي هريرة :

-وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه
ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون²¹.

-وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأشهد إذا
غابوا وأحفظ إذا نسوا (...) وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة، أعني
حين ينسون²².

-وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء
بطني، فأحضر حين يغيبون وأذكر حين ينسون²³.

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء
بطني²⁴.

وروى مسلم عن أبي هريرة :

- كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء
بطني²⁵.

21- صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

22- صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906.

23- صحيح البخاري ، كتاب المزاة ، حديث 2179.

24- صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

25- صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة . حديث 4547.

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني²⁶.

-وإني كنت امرأ معتكفا وكنت أكثر بمجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا²⁷.

إن هذه الروايات لتؤكد ملازمة أبي هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم، مرة لكونه مسكينا يلزمه على ملء بطنه ، ومرة لكونه من مساكين الصفة ، ومرة لكونه يخدمه ، وأخرى لكونه امرأ معتكفا في المسجد ، وهو بذلك أكثر حضورا إذا غاب الصحابة مهاجرين وأنصارا، فيسمع ما لا يسمعون ، و يحفظ ما لا يحفظون .

والملاحظ أن الحديث عن هذه الملازمة إنما كان من أبي هريرة عن نفسه ، ولم نجد أحدا من الصحابة يتحدث عن هذه الملازمة و هذا الحضور ، بل لم نجد له عندهم ذكرا ولو عارضا ، أو أن أحدهم قد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة - ملازمه - حاضرا ، ولو مرة واحدة ، إلا ما كان من رواية حسان الشاعر وعبد الله بن عمر وهي تحتاج إلى مدارس خاصة .

²⁶ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

²⁷ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7380.

إن أبا هريرة هو الذي يتحدث عن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمته له ، ليرر كثرة روايته ومخالفتها لغيره من الصحابة ، وإن هذه الملازمة أمر من الأمور التي تعم بها البلوى ، وخصوصا في أواخر حياته صلى الله عليه وسلم ، فكيف يغفل الصحابة عنها ولا يذكرون أبا هريرة بها ، ولا يجعلون ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم من مناقبه ، وخصوصا أنه كان بحاجة شديدة لهذه الشهادة ، فلا يضطر إلى أن يشهد لنفسه كلما وجهت إليه تهم الإكثار والتزيد . ولماذا لم يطلب أبو هريرة من الصحابة المتبقين أن يشهدوا على هذه الصحبة والملازمة ، وإنما اكتفى بشهادته على نفسه؟

إن مشكلة الناس الذين قالوا "أكثر أبو هريرة" هي : رواياته ، ولن يحل هذه المشكلة أن يضاف إلى هذه الروايات رواية أخرى ينفرد بها كذلك. ، بل لا بد من شهادة غيره على ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم وحضوره ، وهو أمر غير موجود ، رغم توفر أسبابه وتوافر دواعيه . إن هذه الشهادة/ الرواية التي قدمها ، بدل أن تشهد وتحسم الخلاف في مسألة إكثاره ، أضافت إليه عناصر جديدة تؤجج الإشكال ، وعلى رأسها خصوصية الملازمة والحضور التي لا يشهد بهما أحد. ولو كان الأمر كذلك لشهد الصحابة كلهم عليه ، ولجعلوا أبا هريرة مرجعا لهم لما

رأوا له من هذه الخصوصية. بل إن قولهم " أكثر أبو هريرة" لن يطرح من أساسه .

إن التصور الذي تنبني عليه هذه الرواية هي كون النبي صلى الله عليه وسلم مهمته تحديث الناس في المسجد ، وأن أكثر الناس ملازمة له هم المعتكفون فيه ، فبينما يذهب عموم الناس بعد سماع الخطبة والحديث إلى منازلهم وأشغالهم ، ينفرد الرسول صلى الله عليه وسلم بخاصته من المعتكفين والعاطلين والمساكين الذين يحضرون عندما يغيب الناس ، وهو تصور إذا كان يتناسب مع عصر الرواية الشفوية حيث التحديث والجمع والحفظ ، والعلماء والوعاظ والقصاص الذين يلزمون المساجد والجموع ويقبلون التبرعات والصدقات ، فإنه لا يتناسب مع زمن الرسالة وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وخصوصا في أواخر حياته وبعد مجيء النصر العظيم والفتح المبين وانتشار دعوته ، إذ كانت الوفود تأتيه من كل مكان ، وكانت مهام الدعوة والتعليم لا تمثل إلا إحدى مهامه ، فهو الرئيس والقائد العسكري، والإمام والقاضي والرسول ، كما هو الإنسان الذي له بيت وأزواج وذرية ، وله أقارب وأصحاب وعلاقات محلية ودولية ، دينية ودينية .. ومن كانت هذه بعض مهامه ، فإنه لا يجد الوقت الكافي للقيام بها ، بله أن يتفرغ للرواية والتحديث ، فإذا ذهب

أصحاب الأشغال والأموال إلى مشاغلهم بقي مع الذين لا مشغلة لهم ولا
أموال يخصصهم بالعجائب والغرائب والأسرار.

انشغال المهاجرين والأنصار بأسواقهم وأموالهم :

روى البخاري عن أبي هريرة قال :

-إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم²⁸ .

-وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق (...) وكان يشغل أخوتي من الأنصار عمل أموالهم²⁹ .

-وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم³⁰ .

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم³¹ .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال :

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم³² .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

²⁸ -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115 .

²⁹ -صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906 .

³⁰ -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179 .

³¹ -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807 .

³² -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547 .

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم³³ .

-وأن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق ، وأن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها³⁴ .

إن أبا هريرة يرد دعاوى المتهمين له بالإكثار ، بكونه لم يكن منشغلا بمال ولا تجارة تمنعه من حضور مجالس التحديث ، التي كان يتغيب عنها المهاجرون والأنصار لكونهم منشغلين بأموالهم وتجاراتهم .

ويشير هذا الرد إشكالات كثيرة منها : أن أبا هريرة لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم - حسب روايته - إلا ثلاث سنين ، بينما صحبه غيره من المهاجرين والأنصار ما يصل إلى سنوات عديدة تزيد على العقد أو العقدين من الزمن . ومنهم من له به علاقة قرابة ومصاهرة وصحبة وخدمة وجوار ، وغير ذلك مما يدعوهم إلى الاحتكاك به أكثر منه ، وتشهد الروايات المختلفة لهم ولغيرهم على ملازمتهم للرسول صلى الله عليه وسلم . ورغم ذلك فلا يحدثون بمثل أحاديثه؟! ..

ومن هذه الإشكالات أن هذه الملائمة لا يشهد بها المهاجرون والأنصار، ولو كان الأمر كذلك لشهدوا، ولكنهم لا يعلمون عنه شيئا ،

³³ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976 .

³⁴ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976 .

ولم نجد عنه ، فيما يتعلق بالسنوات التي يقول أنه لازم النبي صلى الله عليه وسلم فيها أي أثر يذكر إلا ما يرويه عن نفسه في فتح مكة وغزوة خيبر ، كما لم نجد له في الأحداث التي كانت عند وفاته صلى الله عليه وسلم وبعدها أي أثر كذلك . فلم يشارك في احتضاره صلى الله عليه وسلم ولا جنازته ولا دفنه ولا في اختيار الخليفة الأول ولا الثاني ولا غيرها من الأحداث التي كان للملازمي النبي صلى الله عليه وسلم فيها أثر كبير وذكر عظيم . وهو ما لم يذكره أحد ولم يشهد به ولا أبو هريرة عن نفسه .

وهناك إشكال آخر وهو إذا كان للأنصار والمهاجرين أشغال وأموال تمنعهم من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم مهام وأشغال تمنعه من " ملازمة " أبي هريرة ؟ أم أن أبا هريرة هو أكبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم شغله ؟ أم أنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا هو الآخر في المسجد لا يبرحه إلا مرفقا بأبي هريرة ؟!..

مع عائشة أم المؤمنين:

روى ابن سعد في طبقاته عن سعيد الأموي قال : قالت عائشة لأبي هريرة : إنك لتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ما سمعته منه ، فقال أبو هريرة : يا أمه طلبتها وشغلك عنها المرأة والمكحلة ، وما كان يشغلني عنها شيء³⁵ .

وقال صاحب "الإصابة" : " وأخرج بن سعد بسند جيد عن بن عمر بن سعيد بن العاص قال قالت عائشة لأبي هريرة إنك لتحدث بشيء ما سمعته ، قال يا أمه طلبتها وشغلك عنها المكحلة والمرأة وما كان يشغله عنها شيء ، والأخبار في ذلك كثيرة"³⁶ .

وروى الذهبي في سيره قال : "دخل أبو هريرة على عائشة فقالت له أكثر يا أبا هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا أماه ما كانت تشغلني عنه المرأة والمكحلة ولا الدهن ، قالت : لعله"³⁷ .

وتبعا لهذه الروايات فإن أمنا عائشة رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - كانت من بين المحتجين على أبي هريرة وكثرة روايته ،

³⁵ -طبقات ابن سعد ج2 ص364.

³⁶ -الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج7 ص440.

³⁷ -سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج2 ص604.

وأكدت أنه كان يحدث بأحاديث ما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعل هذه الروايات قد أرادت أن ترد على الاتهام بدعوى أن عائشة رضي الله عنها كانت منشغلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراآتها ومكحلتها ودهنها ، ورغم ما في هذا الجواب من التعريض بأمنا عائشة رضي الله عنها وسوء الأدب معها ، فإنه لا يستطيع أن يبرر إكثار أبي هريرة للحديث، بل إنه يزيد التهمة قوة ورسوخا ، وذلك أن مرآة أمنا عائشة ومكحلتها ودهنها لم تكن تشغلها عنه صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت تشغلها به ، ولذا كانت تأتيها نساء المؤمنين وبناتهم للسؤال عن هذا الجانب الذي ما كان لأبي هريرة أن يطلع عليه مهما أوتي من ملازمة وحفظ معجزين ؛ وإذا كان أبو هريرة معتكفا في المسجد ، فإن حجرة عائشة لم يكن يفصلها عن المسجد إلا جدار كان أبو هريرة نفسه - عندما أصبح محدثا - يتكئ عليه لسمع عائشة رضي الله عنها حديثه الذي عبرت عن استنكارها له واستكثاره ، حيث كان يقول لها - حسب الرواية - أتتكرين من هذا شيئا.

فهي إذن كانت تعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت وتنصت إليه في المسجد الذي ادعى أبو هريرة أنه كان معتكفا فيه ، وكانت تسمع ما لم يسمعه الصحابة الآخرون الذين انشغلوا بأموالهم وأسواقهم - حسب دعوى أبي هريرة - ، بل إنها رضي الله عنها ما غاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حديثه عنها منذ عقلت هذا الوجود ،
 إذ أن أباهما هو أبو بكر الصديق وهو من أوائل المؤمنين به مذ كان
 الإسلام غريبا ، وكان صاحبه بامتياز ، وهو الذي وهب نفسه ونفيسه
 وأهله ووقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ابنته عائشة الصديقة
 البستول ، وقد تربت رضي الله عنها في أحضان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وتزوجته ولم تبلغ الحلم بعد ، قال الذهبي : "هاجر بعائشة
 أبوها ، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت
 خويلد ، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا ، وقيل : بعامين ، ودخل
 بها في شوال سنة اثنتين ، منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر ،
 وهي ابنة تسع" ³⁸ . لقد رباها رسول الله عليه وسلم وشاهدت معه من
 أيامه ومغازيه وشماله وأسراره ما لا قبل لأبي هريرة به ، ولم يكن لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن يخفي عنها رضي الله وهي ملازمته الأولى شيئا
 ويسره لأبي هريرة دونها وهو من أسس الدين ، وحتى وإن أخبره به فإنه
 لن يكتمه عنها وعن كل الأصحاب من المهاجرين والأنصار ومنهم
 صاحبه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، هذا وإن أبا هريرة -حسب
 دعواه- لم يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث سنين بعد غزوة
 خيبر ، فكيف يكون أكثر منها رواية وأعلم منها بحديثه صلى الله عليه

³⁸ -سر أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج 2 ص 135 (مؤسسة الرسالة ، ط 7 ، 1990)

وسلم وهي إنما كانت زوجه عليه السلام قبل الهجرة ، وكانت فيمن
هاجر ومن ثم فهي ملازمته الأولى دون منازع؟

إن مقارنة بسيطة بين رواية أبي هريرة ورواية عائشة رضي الله عنها
لتكشف عن نوع العلاقة الموجودة بين كل منهما ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فعائشة رضي الله عنها تروي لنا كيفية حياته في يومه وليلته،
كيفية صلاته وقيامه وصيامه وطعامه وشرابه ونومه وصحته ومرضه
وعشرته وعلاقته بأزواجه وجيرانه وأقربائه وأخلاقه وسلوكه، ودعوته
واحتضاره وموته ودفنه صلى الله عليه وسلم ، ورغم ورود مثل بعض
هذه الأخبار عن أبي هريرة فهي قليلة ، وهي تتسم بالإعجاز والعجائية ،
فهو عندما لقيه لأول مرة كان له غلام فضاع له ، فلما أسلم قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهذا غلامك ؟ قال نعم ! وأعتقه في سبيل
الله " . وهو عندما هاجر هاجر مع أمه ، وكانت تسب رسول الله عليه
السلام ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي من أجل
ذلك ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهداية ، فما أن وصل
البيت حتى سمع خشخشة الماء ووجدتها تتوضأ للصلاة. فسأل رسول
الله ألا يراها أحد هو وأمّه إلا أحبهما ، وكذلك كان. وكلفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحراسة التمور ، وجاءه رجل فشكا له جوعه وفاقته
وفقر عياله ، فرق لحاله وأعطاه من التمر ، ولما عاد إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال له : إن ذلك لشيطان ، وأنه سيعود إليه مرة أخرى، وكذلك كان . وعاد إلى النبي عليه السلام وأخبره الخبر ثانية فأخبره أنه سيعود للمرة الثالثة ، وكذلك كان ، فلما ضبطه أبو هريرة علمه الآية التي تقضي على الشياطين وهي آية الكرسي. ولما ذهب مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى وليمة رفع النبي صلى الله عليه وسلم الكتف وكانت أحب الطعام إليه ، ونهس منها نهمته ثم بدأ يحدث بحديث الشفاعة الطويل . وجل علاقة أبي هريرة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام هي علاقة إعجاز ، فهو قد جمع النمرة فأصبح يحفظ ولا ينسى ، وكثر له ولأهل الصفة في الليلة ذات المسغبة اللبن حتى كفاهم جميعا . وأعطاه جراب التمر الذي بقي يأكل منه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وغيرها من أحاديث الإعجاز التي لا يرويها إلا هو عن نفسه ، أما عن بقية أحاديثه فهي عبارة عن أخبار تتعلق بالأمم السالفة أو الفتن الآتية أو الغيوب المستورة ، كما هي فضائل تتعلق بأشخاص أو قبائل أو طوائف ، كفضل دوس (قلت لن يسألني عن هذا الأمر إلا دوسي) ، وفضل قريش ووجوب الإمارة فيها (الأئمة من قريش) ، وفضل ابني عمرو بن العاص (ابنا العاص مؤمنان) وفضل اليمن (اليمن يمان والحكمة يمانية ، أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا) ، كما هي أحكام تتعلق بأمور مختلفة منها: جواز التحديث عن بني إسرائيل (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج

(، أو وجوب الخضوع للإمام وملازمة الجماعة (من خرج عن الجماعة قيد شر خلع ربة الإسلام من عنقه) . ومقابل هذه الأحاديث لم يذكر لنا شيئاً عن أيامه صلى الله عليه وسلم وحياته اليومية وعلاقاته العامة والخاصة، ومرضه واحتضاره وموته صلى الله عليه وسلم ، وكأنه لم يكن موجوداً - وهو الملازم الحريص على الرواية - أو أن حدث الوفاة لا يعني له شيئاً ، فلم ندر كيف استقبل هذا الحدث وما الذي ترتب عنه بالنسبة إليه وهو يفقد الشخص الذي لازمه على ملء بطنه ، كما هو الشأن بالنسبة لعائشة رضي الله عنها ، وبالنسبة للملازمين الآخرين ، والذين رويت عنهم أخبار كثيرة سواء فيما يتعلق بوفاته عليه السلام أو بدفنه ، أو بخلافته . إن هذه المقارنة البسيطة بين روايات أبي هريرة وروايات عائشة لتبين أن سبب إكثار أبي هريرة للرواية لا علاقة له بما ذكره هو عن نفسه من ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وانشغال عائشة رضي الله عنها والمهاجرين والأنصار بغير ما انشغل به هو..

يحفظ فلا ينسى :

روى البخاري عن أبي هريرة قال:

- وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه
ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون³⁹.

- يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إني أسمع منك حديثا كثيرا
أنساه، قال ابسط رداءك فبسطته ، قال : فغرف بيديه ثم قال : ضمه ،
فضممته فما نسيت شيئا بعده⁴⁰.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه أنه لن يبسط أحد
ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول ، فبسطت
نمرة علي حتى إذا قضى صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى صدري ،
فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء⁴¹.

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى
أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا فبسطت
نمرة كانت علي ، ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي صلى الله

39 - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

40 - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 116.

41 - صحيح البخاري ، كتاب البويع ، حديث 1906.

عليه وسلم ، ثم جمعتهما إلى صدري ، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا ⁴² .

-قلت يا رسول الله إني سمعت منك حديثا كثيرا فأنساه ، قال ابسط ردائك فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال : ضمه ، فضمته فما نسيت حديثا بعد ⁴³ .

-فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقال من يبسط ردائه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه ، فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت بردة كانت علي فو الذي بعثه بالحق ما نسيت شيئا سمعته منه ⁴⁴ .
وروى مسلم عن أبي هريرة :-فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضمته إلي فما نسيت شيئا سمعته منه ⁴⁵ .

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئا سمعه ، فبسطت بردة

⁴² -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

⁴³ -صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث 3375.

⁴⁴ -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

⁴⁵ -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتهما إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثني به ⁴⁶.

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

- فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال : من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، وبسطت بردة علي حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلي ، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا بعد أن سمعته منه ⁴⁷.

- وأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال : من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه ، فإنه لن ينسى شيئا سمعه مني أبدا ، فبسطت ثوبي أو قال غمري ثم قبضته إلي ⁴⁸.

- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا من رجل يأخذ بما فرض الله ورسوله ، كلمة أو كلمتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا فيجعلهن في طرف رداءه فيتعلمهن ويعلمهن ، قال أبو هريرة فقلت : أنا يا رسول الله قال : فابسط ثوبك ، قال : فبسطت ثوبي فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ضم إليك فضمت ثوبي إلى صدري ⁴⁹.

⁴⁶ - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4549.

⁴⁷ - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

⁴⁸ - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7300.

⁴⁹ - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 8057.

تسبعا لهذه الروايات فإن أبا هريرة يحفظ فلا ينسى لأنه بسط رداءه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جمعه إلى صدره كما أشار إليه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . فهي معجزة نبوية إذن ، والملاحظ أن هذا الحدث المعجز ، والذي تبين الروايات أنه كان في مجمع من الصحابة ، وبحضورهم لم يروه إلا أبو هريرة عن نفسه ، وفي معرض رده على الناس القائلين "أكثر أبو هريرة" . وإنه لا يعقل أن يحجم الصحابة على بسط أرديتهم في موقف كهذا ، حيث يطلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مباشرة، إن هذه المعجزة أكبر من أن "ينساها" الصحابة الذين حضروا ، والذين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم "أيكم يبسط ثوبه" ولم يبسطوا ثيابهم؟! إن هؤلاء لا محالة سيندمون لأنهم لم يبادروا كما بادر أبو هريرة فيدركوا ما أدرك؟! ومن ثم فلن ينسوا أبدا هذا الحدث؟! إن هذا الأمر لو حدث لأصبح به أبو هريرة مرجعا لهم في ما نسوا من الأخبار والأحاديث ، ولسموه "صاحب النمرة أو الرداء" تخليدا لهذه المعجزة العظيمة ، بدلا من "أبي هريرة" .. وعليه فإن الذين رفضوا إكثاره واشتكوا منه لن يعتبروا هذا الحديث إلا واحدا من "غرائب" و خبرا من أخبار "وعائه" الذي لو بثه "لقطعوا هذا البلعوم".

إن حضور أبي هريرة وعدم حضور غيره كاف ليحفظ ما لا يحفظون ، غير أنه يريد أن يؤكد أنه لا يمتاز بالحضور فقط ، وإنما بالحفظ المعجز

الذي يجعله لا ينسى شيئاً ، وبذلك يجب على سؤال : لماذا لم يحدث
الأنصار والمهاجرون بمثل حديثه ؟ فيقول : كنت أحضر ولا يحضرون ،
وإذا حضروا فإنهم ينسون ولا أنسى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم
خصني بمعجزة الحفظ دونهم ، ومن ثم فلا حجة لهم علي وأنا لي عليهم
الحجة البالغة.

إن أبا هريرة -انطلاقاً من هذه الردود - لم يستطع إقناع المشتكين من
إكثاره بما يذهب إليه من تبريرات لا يشهد بها إلا هو عن نفسه ،
فالملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم تحتاج إلى شهود ، والمشتكون من
إكثاره إنما هم أهل زمانه ، وهم الصحابة والتابعون ، والخوف من كتمانهم
للعلم يناقضه كتمانهم للأكياس التي لو بثها " لقطع هذا البلعوم " أو "
لرميتوني بالقبشع " وانشغال المهاجرين والأنصار بأمورهم وتجارهم ، لن
يجعله أقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ملازميه وأعوانه وخدامه
وفتيانه وأقربائه وأزواجه وأصهاره وغيرهم ممن لم يرو عشر معشار ما
رواه أبو هريرة . وأما تخصيصه بمعجزة الحفظ فتحتاج هي الأخرى إلى
شهود ، لا أن يشهد هو على نفسه في معرض اتهامه .

بل إن هذه الردود بدل أن تبرئ ساحته من تهمة الإكثار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو تبررها ، فإنها أكدت إكثاره ولم تبرره ، وإنما
أثارت به مجموعة من الإشكالات حول شخصه وروايته .

بين أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص:

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال :

- ما من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب⁵⁰.

وروى الترمذي بسنده إلى أبي هريرة قال :

- ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب⁵¹.

- ليس أحد أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب و كنت لا أكتب⁵².

- ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه في الكتاب عنه فأذن له⁵³.

50 - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 110.

51 - سنن الترمذي ، كتاب العلم ، حديث 2592.

52 - سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، حديث 3776. مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7084 .

53 - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 8863 .

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال :

-ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب⁵⁴.

وتذهب هذه الروايات جميعاً إلى كون عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر رواية من أبي هريرة لكونه يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن له في الكتاب . فتكون الكتابة معينا للقلب على الوعي والحفظ ، بينما يعتمد أبو هريرة على الحفظ وحده دون الكتابة مما يجعله في الدرجة الثانية من حيث كثرة الحديث .

ولعل هذا المعنى الذي ذهبت إليه الروايات ، يثير لدينا مجموعة من الإشكالات التي تضاف إلى ما سبقها في الفقرات الماضية .

ومن ذلك: أن أبا هريرة إذا كان سبب إكثاره من الرواية هو ما رواه عن نفسه من ملازمة دائمة للرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة ، ومن نعمة الحفظ الخاصة التي نالها عندما جمع أطراف ثوبه أو نمرت به بسبب المعجزة النبوية .

فكيف لعبد الله بن عمرو بن العاص الذي لم يسلم إلا بعد أبي هريرة - حسب الروايات- ولم يلقه إلا بعد فتح مكة ، ولم يلزمه ملازمة أبي

⁵⁴ -سنن الدارمي ، المقدمة ، حديث 483.

هريرة ، ولا ملازمة غيره من الأصحاب والأقارب والأعوان والأزواج ، ولا بسط رداءه ولا ثمرته ، أن يكون أكثر رواية منه - باعترافه - ثم ما دخل الكتابة في الموضوع ، فأبو هريرة يحضر ويحفظ ولا ينسى - حسب دعواه - ، فإذا كان عبد الله بن عمرو لا يحضر كما يحضر أبو هريرة فلن يكتب ما لم يحضره ، ولو كتبه لما كان أكثر من أبي هريرة الذي لن ينساه سواء أكتبه أم لم يكتبه ! فمعجزة الحفظ تلازمه وهي أقوى من الكتابة.

إن مسألة كتابة عبد الله بن عمرو تثير في موضوع عدم نسيان أبي هريرة مشاكل حمة ، تؤدي بانضمامها إلى عدم شهادة غير أبي هريرة عليها إلى اكتشاف خلل عظيم في رواياته..

إن واقع الرواية عند أبي هريرة يشهد بعكس ما تذهب إليه هذه الروايات من تغليب رواية عبد الله بن عمرو على رواية أبي هريرة ، بحيث أن مجموع روايات عبد الله بن عمرو في الكتب التسعة لا تتجاوز 1315 رواية على 62169 رواية - حسب ترقيم العلية - ، وهو ما يمثل 2.1 % من مجموع الأحاديث ، بينما تمثل روايات أبي هريرة هذا المقدار سبع مرات ، أي 14.05 % من مجموع الأحاديث في الكتب التسعة .

وهذا لا يعني أن أحاديث أبي هريرة لم تكن في فترة من الفترات أقل من أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، بل هذا هو الذي يمكنه تفسير

التناقض الموجود بين الروايات ، فعندما كان عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر رواية ذكر أبو هريرة هذا الحديث ، وعندما تجاوزت روايات أبي هريرة كل الصحابة - وهو ما كان يطمح إليه - و ملأت رواياته الآفاق ، كانت ردوده التي تطرقنا إليها ، والتي تحاول تبرير إكثاره ، والتي كشفت عن الطابع القصصي والعجائي الذي يطبع مروياته وأخباره.

بشبع بطني:

الملاحظ في روايات أبي هريرة المتعلقة بملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هي إثارته لقضية الملازمة على ملء بطنه ،

فعند البخاري قال أبو هريرة :

-وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه⁵⁵ .

-وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني⁵⁶ .

-وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني⁵⁷ .

- إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني⁵⁸ .

وعند مسلم قال أبو هريرة:

-كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني⁵⁹ .

⁵⁵ -صحيح البخاري ، كتاب العلم، حديث 115 .

⁵⁶ -صحيح البخاري ، كتاب البيوع، حديث1906.

⁵⁷ -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة، حديث 2179.

⁵⁸ -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

⁵⁹ -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

وعند الإمام أحمد قال أبو هريرة :

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني⁶⁰.

ولم يكن الاستطعام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ، وإنما كان لغيره من الناس.

روى البخاري عن أبي هريرة قال:

-وإني كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطني حتى لا أكل الخمر ولا ألبس الحبير ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب ، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى أن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها⁶¹.

-كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال :بخ بخ، أبو هريرة يتمخط في الكتان ، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول

⁶⁰ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

⁶¹ -صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث 3432. وانظر كتاب الأطعمة ، حديث 5012 .

الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشياً علي ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون إلا الجوع⁶² .

وروى البخاري والترمذي وأحمد من حديث أبي هريرة أنه قال :

-أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب ، فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها علي فمشيت غير بعيد ، فخررت لوجهي من الجهد والجوع ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي ، فقال : يا أبا هريرة ، فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك ، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي فانطلق بي إلى رحله ، فأمر لي بعس من لبن فشربت منه ، ثم قال عدا يا أبا هريرة فشربت ثم قال عدا فعدت فشربت حتى استوى بطني فصار كالقدح⁶³ .

وعن أبي هريرة قال :

-أالله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر فلم يفعل ، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم صلى

⁶² -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6779 ، وسنن الترمذي ، كتاب الزهد ،

حديث 2290 .

⁶³ -صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، حديث 4956 .

الله عليه وسلم ، فتبسم حين رأي وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال يا أبا هر ، قلت لييك يا رسول الله ، قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح ⁶⁴ .

إن الجوع الذي يحكي عنه أبو هريرة كان عظيما ، وأبو هريرة يلزم رسول الله على ملء بطنه ، ويلصق بطنه بالحصباء من الجوع ، ويخر من الجهد والجوع مغشيا عليه ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقه ، ويرى أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع . وإنه كان ليشد الحجر على بطنه من الجوع ، ويسأل الصحابة عن الآية من القرآن ما يريد إلا استطاعهم ، ويمر به أبو بكر ثم عمر ولا يفقهان إلى مراده ، حتى يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب به ليعطيه اللبن .. ولم يكن هذا الأمر خاصا به ، وإنما هي مجموعة من الفقراء والمساكين كانت معتكفة في المسجد على ملء بطنها .. وكان أخير الناس لها جعفر بن أبي طالب إذ كان ينقلب بهم إلى بيته ، فيخرج لهم الموجود فيه ، حتى إن كان ليخرج إليهم العكة ليس فيها شيء فيشقونها ثم يلحقونها ..

إن هذه الصورة المؤلمة للجوع الذي كان بعد خيبر يختص بها أبو هريرة ، فهل كان هذا الجوع ساريا على كل أهل المدينة ، أم أنه كان

64 - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، حديث 5971 . ومسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث

10263 . وسنن الترمذي ، صفة القيامة والرقائق والورع ، حديث 2401 .

خاصا بأهل الصفة ، الذين هم - كما تقول الرواية - أضياف الإسلام، هل كان أهل المدينة يمثل هذا البخل بعد خير ، وهم الذين تبوءوا الدار والأيمان ، وآثروا على أنفسهم زمن الهجرة ولو كان بهم خصاصة؟!.. فهل بعد الفتح المبين والنصر و التمكين يتركون " أضياف الإسلام " للجوع والاستطعام؟..

ومن هم أضياف الإسلام هؤلاء ، الذين سموا بأهل الصفة ؟ إننا لا نعرف عنهم شيئا إلا من روايات أبي هريرة . ما هي أسماؤهم ؟ أو أسماء بعضهم غير أبي هريرة ؟ لماذا لا يتحدثون عن أنفسهم ويقولون نحن - أضياف الإسلام- الذين لا شغل لنا إلا انتظار الصدقات في المسجد النبوي ؟ وهل كان محمد صلى الله عليه وسلم يبارك تجمعهم هذا ، وبينما يذهب الأنصار والمهاجرون إلى أسواقهم وأموالهم يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خاصته : هؤلاء؟ وعلى رأسهم أبو هريرة؟! لماذا لا يتحدث إلا أبو هريرة عنهم ، أليسوا هم الأصحاب الحقيقيون - تبعا لرواية أبي هريرة - الملازمون له صلى الله عليه وسلم؟! من يعرفهم ؟ من يعرف أسماءهم ؟ ألم يقل لهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوما : " اخرجوا من هذه المسكنة والذلة التي أنتم فيها ، واكسبوا قوتكم من عرق جبينكم ، فإن الإسلام الذي جئكم به لا يصنع " المعتكفين المتسولين " ، وإنما يصنع "العباد العاملين ذوي الأيد "؟!

ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو يحدثهم - يتوجه إليهم بالخطاب فيقول لهم : إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق ، ومنها العمل والإنفاق والمسارة في الخيرات ونفع العباد ، ولم آتكم لأجعلكم أوعية لنقل أخبار الحاضرين والسالفين دون أن يكون لذلك أي تأثير في حياتكم وسلوككم ؟!

إن هذه المجموعة من الناس - التي أخبر عنها أبو هريرة ، والتي بلغت بها الجماعة مداها ، حتى إن جعفر بن أبي طالب كان أخير الناس لهم ، وكان يخرج إليهم العكة ليس فيها شيء ، فيشقونها ويلعقون ما فيها؛ إنما هي صياغة قصصية عجائبية مبالغ فيها ، تعبر عن التصور المنبثقة عنه ، وهو تصور رواة القصص والأخبار الذين كانوا يرون أن الإسلام إنما هو قصص ومواعظ وغرائب ، وعكوف ومسكنة ومساجد، وأن هذا هو ما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه..

هذا وإن الطعام والاستطعام - هو هم أبي هريرة ، فهو إنما يسألهم الآية من القرآن وهي عنده ما يريد منهم إلا أن يطعموه ، ويمر أبو بكر وعمر ولا ينتبهان له ، ويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأخذه ويطعمه ، إن مثل هذا التوجيه ليجعل الصحابة لا يأبه بعضهم ببعض ، إذ كيف أن أحدهم ، وهو من أضياف الإسلام ، يكاد يموت جوعاً حتى يغشى عليه ، ويمر خيرة الصحابة عليه ولا يدركون ما هو فيه، إنهم-

حسب هذا الإدعاء- لا يهتمهم أمر الفقير والمساكين، هذا عن خيرتهم فكيف بعامتهم ؟

أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتبه لأمره وأطعمه وأصحاب الصفة من اللبن العجيب ، فإنه يخالف ملازمة أبي هريرة له على طعام بطنه ، فكيف يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الطعام ويتركه النبي صلى الله عليه وسلم يتضور جوعا حتى الموت ؟! وحتى يجيء الجائي فيضع رجله على عنقه ظنا منه أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع؟! فهو إما لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه السلام بواجب الملازمة ، والذي هو الإطعام . وإما أنه لم يكن ملازما له وإنما كان يجلس على طريقهم يستقرئهم من أجل أن يطعموه ، فيمر أبو بكر ثم عمر بهذا الترتيب- ثم رسول الله عليه السلام فيطعمه ، وإذا جاء جعفر بن أبي طالب والذي كان خيرهم للمساكين أخذه ومن معه إلى بيته .؟! إن الرسول صلى الله عليه وسلم - حسب هذه الروايات - هو نفسه كان يعاني من الحاجة والفقر ، فكان يرجع إلى بيته فلا يجد إلا وعاء اللبن المهدى إليه، فيقوم بمعجزة إكثار اللبن حتى يشرب منه أهل الصفة جميعا ، ثم أبو هريرة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يشرب من فضلهم جميعا .

وقصة تكثير اللبن هذه كذلك من خصوصيات رواية أبي هريرة ،
والمشكلة أننا لا نعرف أحدا من أهل الصفة حتى نسأله عن هذه المعجزة
التي لا يشهد بها أحد إلا أبو هريرة .

مع ابنة غزوان:

روى ابن ماجه بسنده إلى أبي هريرة قال :

-نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي أحطب لهم إذا نزلوا ، وأحدو لهم إذا ركبوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماما⁶⁵ .

وروى ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة قال :

- بخ - بخ يتمخط أبو هريرة في الكتان لقد رأيتني أخر فيما بين منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحجرة عائشة ، ويجيء الجائي يرى أن بي جنونا وما بي إلا الجوع ، ولقد رأيتني وإني لأجير لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أسوق بهم إذا ارتحلوا وأخدمهم إذا نزلوا ، فقالت يوما لتردنه حافيا ولتركبته قائما ، قال فزوجنيها الله بعد ذلك ، فقلت لها لتردنه حافية ولتركبته قائمة⁶⁶ .

روى أبو نعيم في حليته عن أبي هريرة قال :

⁶⁵ -سنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، حديث رقم 2436 .

⁶⁶ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج 4 ، ص 326 .

-نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيـرا لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجـلي أحـدو بهم إذا ركبوا واحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبو هريرة إماما⁶⁷ .

عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوما فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماما بعد أن كان أجيـرا لابنة غزوان على شـيع بطنه وحمولة رجـله⁶⁸ .

ولما سئل أبو هريرة مرة-عن سبب تكبيره قال : -على أن كنت أجيـرا لبسرة بنـت غزوان بعقب رجـلي وطعام بطني ، وكان القوم إذا ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم ، فزوجنيها الله فهي امرأتي ، وأنا إذا ركب القوم ركبت ، وإذا نزلوا خدمت⁶⁹ .

وهناك روايات كثيرة بهذا المعنى وردت في كتب التاريخ والتراجم والطبقات، وكلها تؤكد أن أبا هريرة كان في أول أمره أجيـرا عند آل عفان على ملء بطنه ، بعد أن كان الجوع يكاد يفتك به حتى يظن الناس أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع ، ولازمهم حتى إذ أصبح له شأن ومال وسلطان وإمامة، وأصبح يشيع كما يشبعون ، ويتمخط في الكتان ، ويركب كما يركبون ، ويخدم كما يخدمون ، زوجوه من ابنة غزوان

⁶⁷ -حلية الأولياء ، لأبي نعيم، ج1ص379.

⁶⁸ -حلية الأولياء ، لأبي نعيم، ج1ص380. وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2ص611.

⁶⁹ -حلية الأولياء لأبي نعيم ، ج1ص380. وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2ص612.

أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وأصبح يأمرها بما كانت تأمره ، (فقالت لي يوما لتردنه حافيا ولتركبته قائما، فزوجنيها الله بعد فقلت لتردنه حافية ولتركبته قائمة)⁷⁰ .

وهذا المضمون إضافة إلى مضمون الروايات الواردة في المبحث السابق ، والمتحدثة عن الجوع الشديد الذي كان يعاني منه أبو هريرة ، يثير أسئلة خطيرة حول ملازمة أبي هريرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يطرح السؤال : هل كان أبو هريرة يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول أمره أم كان أجيرا عند آل عفان على ملء بطنه ؟ وهل يمكن أن يجمع بين الخدمة في بيت عفان والاعتكاف في المسجد لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكان المهاجرون والأنصار ينشغلون بأموالهم وأسواقهم وكان هو يترك إجارته حتى يسمع ما لم يكونوا يسمعون ؟ أم أن هذه الخدمة والإجارة كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ملازمته له ، فلم لم تذكر هذه الروايات أنه لازم بن عفان وكان أجيرا لابنة غزوان بعد أن لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ بل ذكرت الروايات أنه نشأ يتيما وهاجر مسكينا وعمل أجيرا لابن عفان وابنة غزوان ، مما يفيد أنه منذ هجرته عمل لابن عفان وابنة

⁷⁰ -طبقات ابن سعد، ج4 ص326.

غزوان على ملء بطنه ، ولا علاقة له بملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بخدمته ولا بالاعتكاف في المسجد ، وسماع المخالف من الأحاديث التي لم يسمعها المهاجرون والأنصار ، ولا بالمعجزات الخاصة المبررة لهذه المخالفة وهذا الإكثار ، حتى إذا صار له مال وإمامة وسلطان بعد وفاة عثمان انتصب للفتوى والتحديث بما جمعه من الصحابة وأهل الكتاب وغيرهم، مدعياً أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما احتج عليه الناس بالإكثار والمخالفة لما جاء به الصحابة مهاجرين وأنصاراً، اختلق تلك التبريرات التي تقوم بمدارستها ، روى الذهبي في سيره قال: " كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وجابر مع أشباه لهم يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا ، قال: وهؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى".⁷¹

⁷¹ - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2، ص 607 .

هل يعد أبو هريرة من الصحابة؟

درج الدارسون على اعتبار أبي هريرة صحابيا بناء على مجموعة من الروايات التي يرويها أبو هريرة عن نفسه ، وهي نفس الروايات التي تعرضنا لها في الفقرات السابقة ، وهي بدل أن تؤكد صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثارت حولها مجموعة من الشبهات ، وهو ما يدعونا إلى التحقيق في هذه المسألة.

روى الذهبي عن الوليد بن رباح :سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت وال ، وإن الوالي لغيرك ، فدعه - يعني : حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولكنك تدخل فيما لا يعينك ؛ إنما تريد بها إرضاء من هو غائب عنك -يعني معاوية .

فأقبل عليه مروان مغضبا ، وقال : يا أبا هريرة ، إن الناس قد قالوا : أكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وإنما قدم قبل وفاته ييسيرا . فقال :قدمت -والله - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ؛ وأقمت معه حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه ، وأخدمه ، وأغزو وأحج معه ، وأصلي خلفه؛ فكنت والله أعلم الناس بحديثه⁷² .

⁷² -سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج2 ص605.

وروى الذهبي عن عمير بن هانيء العنسي عن أبي هريرة قال : "اللهم لا تدركني سنة ستين" "فتوفي فيها أو قبلها بسنة".

قال الواقدي : كان يترل ذا الحليفة وله دار تصدق بها على مواليه ، ومات سنة تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة ، وهو صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين ، قال وهو صلى على أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين .

قلت : الصحيح خلاف هذا "73.

وتبعاً لهذه الروايات التي بنى عليها أصحاب التاريخ والرجال تراجمهم ، يتبين أن أبا هريرة إنما أسلم بعد الثلاثين من عمره بسنوات (أي ما يتراوح بين ثلاث وتسع سنوات) ، فيكون إسلامه بين الثلاث و الثلاثين والتسع والثلاثين من عمره ، و كانت وفاته على عمر ثمان وسبعين سنة ، وهو ما يفيد أن المدة بين إسلامه ووفاته تتراوح بين خمس وأربعين وتسع وثلاثين سنة ، بينما تبين الروايات الأخرى المتحدثة عن سنة وفاته أنها كانت بين سنة سبع وخمسين وسنة ستين ، فإذا نقصنا منها المدة بين إسلامه ووفاته والتي تتراوح بين خمس وأربعين سنة وتسع وثلاثين ، نتج لدينا أنه إنما أسلم - في أحسن الأحوال - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بما يزيد على السنة ، ويصل إلى عشر سنوات :

73 - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج 2 ص 626.

وفاته

إسلام أبي هريرة

مدة إسلام أبي هريرة: +-----+-----+ = 39/45 سنة

عمره : 33 سنة 39 سنة 78 سنة

بين وفاته صلى الله عليه وسلم

وفاة أبي هريرة

و وفاة أبي هريرة وفاة النبي

حسب الروايات: ++++-----++ = 46/50 سنة

السنة الهجرية: 11/10هـ 60/59/58/57هـ

وهو ما يفيد أن أبا هريرة إنما أسلم في الفترة الممتدة بين السنة الثانية عشرة والسنة الحادية والعشرين للهجرة، فإذا علمنا أن الرواية المحددة لعمره عند وفاته بثمان وسبعين سنة ، قد حددت سنة وفاته كذلك بسنة تسع وخمسين للهجرة ، وهو ما يضيق دائرة الاحتمال بأربع سنوات ، مما يفيد أنه أسلم بين السنة الرابعة عشرة و السنة العشرين للهجرة .

وفاة أبي هريرة

إسلام أبي هريرة

وفاته(ص)

حسب الرواية

المحددة لسن وفاة ++++-----++ = 48/49 سنة

أبي هريرة: 11/10 / 14 20هـ 59هـ

مما يفيد أن أبا هريرة إنما أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ، فينتفي بذلك أن يصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد ، ومن ثم فلم يكن ملازما له صلى الله عليه وعلى ملء بطنه ، وإنما كان أجيرا عند آل عفان وابنة غزوان على ملء بطنه حتى زوجه الله بها وجعله إماما وأميرا ، وتنتفي بذلك كل دعاوي الحفظ التي أكرم بها دون غيره من الصحابة مهاجرين وأنصارا ، وهو ما يفسر عدم الحديث عن صحبته من طرف الصحابة مهاجرين وأنصارا، ويفسر عدم مشاركته في أحداث الوفاة التي شارك فيها غيره ورواها الملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أمنا عائشة رضي الله عنها، والتي ما كان ليلهيها عن هذا الأمر مرآة ولا دهن ولا مكحلة! أما أبو هريرة فما الذي ألماه عن هذا الحدث العظيم والخطب الجليل لو كان حاضرا وموجودا بله أن يكون خادما وملازما يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يحدث غيره؟!..

تدليس أبي هريرة:

روى الذهبي بسنده قال : "سمعت الشعبي يقول : كان أبو هريرة يدلس،"
قال الذهبي : "قلت تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه ، فإن تدليسهم
عن صاحب أكبر منهم والصحابة كلهم عدول "74.
إن المشكلة التي نعالجها في هذه الفقرة ليست مشكلة الصحابي الذي
يدلس ، فيخفي شيوخه وهم ثقة وعدول ولا ضرر من عدم ذكرهم ،
وإنما مشكلة شخص يدعي أنه من الصحابة ، ويخفي شيوخه من
الصحابة أو من أهل الكتاب أو غيرهم ، ليحل محلهم فيصبح صحابيا
ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصبح أحاديثه ملزمة بدعوى أنها
أحاديث نبوية ، غير أن ما تقدم به من أدلة على ما ذهب إليه ، بدل أن
تكون شاهدا له كانت شاهدا عليه، ومن ثم فتدليسه إن كان مدلسا ،
وإن لم يكن فيه عيب ظاهر ، فإنه يترتب عليه ضرر كبير ، ومن ذلك أن
ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما نقله هذا الشخص من أخبار أهل
الكتاب فتصبح هذه الأخبار أحاديث مرفوعة ، سواء أرفعها هو أو رفعها
القواعد المعمول بها ، ومن ذلك "خبر الصحابي في ما لا مجال للاجتهاد
فيه بمثابة المرفوع" و "جواز التحديث عن بني اسرائيل في أخبار الأمم

74 - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص 608.

السالفة " و " قول الصحابي حجة فيما لا يترتب عليه عمل " و " الصحابة كلهم عدول " و " تدليس الصحابة لا يضر "، والمعلوم أن أبا هريرة قد تتلمذ على عدد من الصحابة والتابعين وأهل الكتاب ومنهم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما ، غير أنه في أغلب رواياته لا يصرح بشيوعه ، ويرفع أحاديثه مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى عندما أجاب على معضلة الإكثار والمخالفة لم يذكر أن ذلك له علاقة بما رواه عن هؤلاء الشيوخ غير النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ادعى أن ذلك يرجع إلى الملازمة والحفظ فقط ، وهو يخالف ما تشهد به رواياته نفسها : أنه أخذ عن الصحابة والتابعين من مسلمين وأهل كتاب وربما دلسهم فلما كشف أمره اعترف بهذا التدليس ، ونأخذ على هذا الأمر بعض الأمثلة :

روى مسلم من حديث أبي بكر بن عبد الرحمن أنه : " سمع أبا هريرة يقص في قصصه من أدركه الفجر جنباً فلا يصم " ⁷⁵ .

وروى أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول :
 " من أصبح جنباً فلا صوم له " ⁷⁶ .

" من أدركه الصبح وهو جنب فلا يصوم من يومئذ " ⁷⁷ .

⁷⁵ - صحيح مسلم ، كتب الصيام ، حديث 1864 .

⁷⁶ - مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24334 . وحديث 25095

⁷⁷ - مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24627 .

"من أصبح جنباً فلا يصوم" ⁷⁸.

"من أصبح جنباً من غير احتلام فلا يصوم" ⁷⁹.

"من أصبح جنباً فلا يصوم" ⁸⁰.

وروى مالك في "الموطأ" عن أبي هريرة قال:

"من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم" ⁸¹.

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال :

"لا ورب الكعبة ما أنا قلت " من أصبح وهو جنب فليفطر " محمد صلى الله عليه وسلم قاله" ⁸².

وروى أحمد عن أبي هريرة قال : "ورب هذا البيت ما أنا نهيته عن صيام الجمعة ولكن محمداً نهى عنه ، ورب هذا البيت ما أنا قلت من أدركه الصبح جنباً فليفطر ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله" ⁸³.

وهذه الروايات جميعاً تفيد أن أبا هريرة كان يفتي ببطلان صيام الجنب إذا لم يغتسل قبل طلوع الفجر، ويعتبر ذلك قولاً من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وليس من أقواله هو !!..

78 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24493.

79 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25445.

80 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25447.

81 -الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب الصيام حديث 566.

82 - سنن ابن ماجه ، كتاب الصيام ، حديث 169 .

83 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند المكثرين ،حديث 7503.

ولعل الروایتین الأخيرتين التي يقسم فيهما أبو هريرة برب الكعبة ورب هذا البيت ، ليدلان على أن في الأمر نقاشا واعتراضا يجيب عليهما بالقسم من جهة ، وبنسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة ثانية ، ورغم ذلك فإن هذه الفتوى قد جلبت على أبي هريرة ردودا واتهامات نطلع عليها في المباحث التالية.

وذلك أن مروان بن الحكم والذي كان أميرا على المدينة آنذاك لما سمع بفتواه ، أرسل إلى عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما يسألهما عن هذا الأمر ، فكان جوابهما مخالفا لما رواه أبو هريرة :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من غير احتلام ثم يصوم⁸⁴.

كان يدركه الفجر وهو جنب من أهل ثم يغتسل ويصوم⁸⁵.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر في رمضان من غير حلم فيغتسل ويصوم⁸⁶.

وعن عائشة قالت : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كان ليصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصومه ، ثم دخلنا على أم سلمة فقالت مثل ذلك⁸⁷.

84 - صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864 . وحديث 1969 .

85 - صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث 1791 .

86 - صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث 1795 .

والأحاديث في هذا المعنى -عند أصحاب الكتب التسعة -تتجاوز الستين حديثاً ، تبين جميعها أن رواية أبي هريرة تخالف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة زوجته رضي الله عنهما عائشة وأم سلمة . وهو ما دفع عمرو بن الحكم أمير المدينة إلى توقيع أبي هريرة بهذه الحقيقة ، فأرسل إليه بعض أصحابه لإخباره بذلك ، وقال له :
- أقسم بالله لتقرعن بما أبا هريرة⁸⁸ .

-عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول⁸⁹ .
-أخبر أبا هريرة بقول عائشة ، فقلت إنه لي صديق فأحب أن تعفيني ، فقال عزمت عليك لما انطلقت إليه⁹⁰ .
-أخبر أبا هريرة بما قالتا⁹¹ .

-عزمت عليكما لما انطلقتما إلى أبي هريرة فحدثتماه⁹² .
-الق أبا هريرة فحدثه ، فقال إنه لجاري وإني لأكره أن أستقبله بما يكره ، فقال أعزم عليك لتلقينه⁹³ .

⁸⁷ صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث 1796.

⁸⁸ صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث 1791.

⁸⁹ صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864.

⁹⁰ -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 23540.

⁹¹ -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24334.

⁹² -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24493.

⁹³ مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24627.

-أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعقيق فلتخبرنه بذلك⁹⁴.

وهناك روايات أخرى بهذا المعنى، نستغني عنها بما ذكرنا ، وجميعها تريد مناقشة أبي هريرة في ما يفتي به من أحاديث مخالفة لما جاء به الصحابة الآخرون ومنهم عائشة وأم سلمة.

ولقد جاء جواب أبي هريرة مضطربا في هذه الروايات ، بعد أن أجمعت على كونه قد رجع عن فتواه ،

-فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك⁹⁵.

-فكف أبو هريرة⁹⁶.

-فرد أبو هريرة فتواه⁹⁷.

-فترك أبو هريرة فتواه⁹⁸.

وأغلب هذه الروايات لم تبين سبب الغلط الذي وقع فيه أبو هريرة ، وإنما اكتفت بذكر أنه تراجع عن فتواه،

94 - الموطأ ، مالك بن أنس ، حديث 566.

95 -صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864.

96 -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 25095.

97 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث25393.

98 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث25430.

وذهبت بعض هذه الروايات إلى أن سبب تراجعه عن فتواه يرجع إلى كون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أعلم منه بهذا الأمر:

-فانطلقت أنا وهو إلى أبي هريرة فأخبرته بقولها ، فقال :عائشة إذن أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم⁹⁹ .

-فانطلق إلى أبي هريرة فأخبره عن أم سلمة وعن عائشة ، فقال هما أعلم¹⁰⁰ .

-فأتيته فأخبرته ، فقال هن أعلم¹⁰¹ .

وذكرت إحدى الروايات أنه اجتهد خاطئ :

-فقال أبو هريرة: كذا كنت أحسب و كذا كنت أظن ، فقال له مروان بأظن وأحسب تفقي الناس¹⁰² .

وذكرت رواية مالك أنه إنما أخبره به مخبر لم يعينه:

-فركب عبد الرحمن وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة ، فتحدث معه عبد الرحمن ساعة ثم ذكر له ذلك، فقال له أبو هريرة : لا علم لي بذلك إنما أخبرني مخبر¹⁰³ .

⁹⁹ -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 23540.

¹⁰⁰ -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25441 .

¹⁰¹ -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25442.

¹⁰² -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24334.

¹⁰³ -الموطأ ، مالك بن أنس، كتاب الصيام ، حديث 566.

وذهبت روايات أخرى إلى تعيين هذا المخير بالفضل بن عباس:
-إني ذاكر لك أمرا ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك ، فذكر
قول عائشة وأم سلمة ، فقال كذلك حدثني الفضل بن عباس وهن
أعلم¹⁰⁴ .

-قال أبو هريرة : أهما قالتاه لك ، قال نعم ، قال : هما أعلم ، ثم رد أبو
هريرة ما كان يقول إلى الفضل بن عباس ، فقال: سمعت ذلك من الفضل
ولم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع أبو هريرة عما كان
يقول في ذلك¹⁰⁵ .

-فانطلقا إلى أبي هريرة فأخبراه ، قال : هما قالتاه لكما ، قالا : نعم ، قال:
هما أعلم إنما أنبأني الفضل بن عباس¹⁰⁶ .

-فلقيه ، فقال يا أبا هريرة والله إن كنت لأكره أن أستقبلك بما تكره
ولكن الأمير عزم علي ، قال فحدثته ، فقال حدثني الفضل¹⁰⁷ .

-فأخبراه ، قال : قالتاه لكما ، فقالا نعم ، قال : هما أعلم إنما أنبأني
الفضل بن عباس¹⁰⁸ .

104 -صحيح البخاري ، كتاب الصيام ، حديث 1791 .

105 -صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864 .

106 -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24493 .

107 -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24627 .

108 -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 25445 ، وحديث 25447 .

ومجموع هذه الأحاديث تفيد أن أبا هريرة كان يحدث بحديث لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما أقيمت عليه الحجة بمخالفته لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كف عن التحديث به مدعيا أنما أخبره مخبر ، وهو الفضل بن عباس ، وهنا تثار مجموعة من الأسئلة ، منها:

لماذا أخفى أبو هريرة شيخه الفضل بن عباس ، والذي توفي حسب الروايات في السنة الخامسة عشرة للهجرة ، منذ خمس وعشرين سنة خلت ، إلى إمارة مروان ، وحتى قرعه مروان بخبر عائشة وأم سلمة ؟ هل كان يريد أن يقول للناس إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه منه حتى يظنوه صحابيا فينال حظوة الصحابي ، لكنه لما كشف خطأ حديثه رده إلى الفضل بعد خمس وعشرين سنة من وفاته؟!

وهل هذه الفتوى التي تراجع عنها أبو هريرة ، كان الفضل بن عباس هو الذي أفتى بها فعلا ، وما الذي جعل الفضل يخطئ في فتواه ، أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أنه قد افترى عليه الكذب؟!

إن أبا هريرة لم يرو عن الفضل بن عباس شيئا إلا ما جاء في هذا الحديث ، فهل كان الفضل من شيوخه؟ وأين أحاديثه الأخرى التي رواها عنه ؟ هل دلس فيها كما دلس في هذا الحديث ؟ كما أن الفضل لم يحدث عنه أحد يمثل هذا الحديث أو قريب منه ، وكل حديثه في الكتب التسعة على الأقل

لا يتجاوز ما ذكره من وصف لرحلة الحج وهو رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أسامة بن زيد ، ولم يذكر عنه أنه حدث حديثاً يتعلق بالصيام إلا ما نسب إليه أبو هريرة بعد وفاته بخمس وعشرين سنة ، مدعياً أنه هو الذي أخطأ في نقله لا أبو هريرة !

إن أسهل طريقة للتخلص من الأخطاء هي نسبتها إلى الآخرين ، وخصوصاً الموتى منهم ! وهو ما قام به أبو هريرة ، وإن الذي جعله ينسب إليه ما نسب به هو تدخل الأمير الذي أقسم على أبي بكر وأبيه عبد الرحمن بالذهاب إليه وتقريعه بما حدثت به عائشة و أم سلمة - رضي الله عنهما - ، وإن أبا بكر وأباه عندما سمعا بحديث أبي هريرة في مسألة صيام الجنب علما أنها أمر خاطئ من أبي هريرة ، ولذلك توجهوا إلى الأمير ليخبراه بما يفيت به أبو هريرة منسوبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان من الأمير الذي علم هو الآخر بالخطأ، إلا أن بعث إلى عائشة و أم سلمة يسألهما في الموضوع ، وكان جوابهما مصدقا لما ذهب إليه كل من أبي بكر وأبيه عبد الرحمن و مروان بن الحكم ، وهو ما يعني أن أبا هريرة لم يحدث بهذا الحديث إلا من فترة وجيزة لا تصل بحال إلى العهد الذي توفي فيه الفضل بن عباس، إذ لو كان الأمر كذلك لانتبه عموم الناس له منذ زمن بعيد وقبل إمارة مروان، وكيف بأبي هريرة لا يذكر هذا الحديث إلا في إمارة مروان وهو قد سمعه من الفضل بن عباس منذ ما

يزيد على خمس وعشرين سنة، وليس أبو هريرة من الذين يستطيعون كتمان الأخبار طول هذه المدة ، وهو ما يلقي على نسبة هذا الخبر إلى الفضل بن عباس شكوكا كثيرة !! فهل يكون الجواب الأقرب إلى الصواب هو ما ذكرته الرواية المتحدثة عن اجتهد أبي هريرة حيث قال : " كذا كنت أحسب و كذا كنت أظن ، فقال له مروان بأظن وأحسب تفني الناس " ¹⁰⁹.

وكيفما كان الحال فإن هذه الفتوى ليست حديثا نبويا ولكن أبا هريرة حدث بها ، واكتشف الناس خطأه فيها، وتراجع عنها ، سواء أكان أخذها عن غيره فأخفى شيخه ، أو كانت اجتهدا منه . ومثل هذه الفتوى تطرح أسئلة جذرية على حديث أبي هريرة المرفوع ، ما هي مصادره ؟ هل هو اجتهادات ؟ أم نقول أهمل رواها ؟ أم أخبار أهل كتاب ؟ وخصوصا إذا تأكد لنا أن أبا هريرة كان يأخذ عن الجميع ويصوغ ذلك كله في رواية قصصية مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ينفرد برواية أكثر مفرداتها ، و تخالف في كثير من الأحيان ما يروى عن الصحابة الآخرين من مهاجرين وأنصار ، وهو ما دعا الناس إلى اتهامه بالإكثار والمخالفة.

¹⁰⁹ -مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند الأنصار ، حديث 24334..

إن أبا هريرة في هذه الروايات قد أقر بكون عائشة وأم سلمة أعلم منه ،
عندما قال : "هما أعلم " ، وهو ما كان ينفيه عندما قال لعائشة رضي
الله عنها : "ما كانت تشغلني المرأة والمكحلة ولا الدهن " . فما الذي
شغله عن هذا الحديث ؟ حتى علمته عائشة وأم سلمة ، وأخذه هو بطريقة
خاطئة عن الفضل بن عباس ، وانفرد بروايته عنه ، كما انفرد بروايته عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وقبل اكتشاف خطئه؟ وهل
كان الفضل الذي لم تروى عنه إلا أحاديث ذوات عدد، أكثر علما من
أبي هريرة حتى يرجع إليه مصدريه هذا الحديث الخاطيء؟! كل هذا لا يعني
إلا المحاولة اليائسة من أبي هريرة لدفع تهمة الإكثار والتزيد عنه ، والتي
واجهه بها معاصروه ، ومنها هذه الأحاديث !!؟.

إن تدليس الرواة هي الإمكانية الوحيدة التي يمكن أن تفسر سبب إكثار
أبي هريرة من الرواية ، وليس التدليس عيبا في عصر لم يكن الرواة يسألون
عن شيوخهم ، ولا كانت هناك أسانيد ، وخصوصا عند الوعاظ
والقصاص ، الذين إنما تروج قصصهم وأحاديثهم بما فيها من مبالغات
وغرائب وأعاجيب ، ولم يكن أبو هريرة عالما ولا فقيها ولا حتى كاتباً
يمكن الاعتماد على علمه وفقهه في تمحيص النصوص ونقدها ومدارستها،
وإنما كان راوية قصاصا كتبت له الإمامة بحسن وعظه وكثرة تحديثه
وجرأته ، حتى أصبح واحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون ؛ وكتبت له الشهرة بولائه
لسبي أمية و آل مروان، وخدمته لهم ودفاعه عن حكمهم وملكهم
وجماعتهم وقبيلتهم ،حتى أصبح صهرا لهم ، وأميرا من أمرائهم، وإماما من
أئمتهم !!.

إن هذه المدارس السريعة لهذا الخبر الذي نسبه أبو هريرة للفضل بن عباس
قد ألفت لنا بعض الأضواء الكاشفة عن تدليس أبي هريرة ، وسنحاول في
الفقرة اللاحقة أن نلقي مزيدا من الضوء على هذه المسألة ولكن هذه المرة
مع أهل الكتاب!!

الخروج إلى الطور :

وروى مالك من حديث أبي هريرة قال :

-خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار ، فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم¹¹⁰ .

وروى النسائي عن أبي هريرة قال :

-أتيت الطور فوجدت ثم كعبا فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يحدثني عن التوراة¹¹¹ .

وروى أحمد من حديث أبي هريرة قال :

-خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار ، فجلست معه ، فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم¹¹² .

-قدمت الشام فلقيت كعبا فكان يحدثني عن التوراة وأحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتينا على ذكر يوم الجمعة¹¹³ .

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال:

¹¹⁰ -الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 222 .

¹¹¹ -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413 .

¹¹² -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912 .

¹¹³ -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

-التقيت أنا وكعب ، فجعلت أحدث عن رسول الله ويحدثني عن التوراة¹¹⁴ .

تحدث هذه الروايات جميعا عن لقاء أبي هريرة بكعب الأحبار بالشام ، وأن أبا هريرة هو الذي بادر بالخروج إليه ولقائه هنالك ، والملاحظ أن راوي هذا اللقاء هو أبو هريرة نفسه ، بعد مدة من زمن إجراء اللقاء ، و أنه قد حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما حدثه كعب عن التوراة ، في مواضيع كثيرة حتى أتيا على ذكر الجمعة .. ولست أدري لماذا تحمل أبو هريرة وعشاء السفر من أجل هذه المقابلة العجيبة ، وكان الأولى أن يأتيه كعب لا أن يذهب هو إليه إلى الطور ، لكون أبي هريرة - حسب قوله - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامل حديثه؟! فهل كان أبو هريرة طالب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم طالب علم التوراة من كعب الأحبار؟ وهل كان عالما يأخذ مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم كان طالب رواية يأخذها من كل واحد حتى من كعب الأحبار ، ويرحل إليه ولو في الطور ؟

إن كعب الأحبار -حسب هذه الروايات - كان يتحدث أبا هريرة من التوراة ، وكان أبو هريرة يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضيع كثيرة ، حتى أتيا على ذكر الجمعة ، والسؤال المطروح هو : ما

¹¹⁴ -سنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، حديث 1523.

الذي كان يعملهُ أبو هريرة بالعلم التوراتي الذي أخذه عن كعب الأحبار، والذي من أجله خرج إلى الطور وقدم إلى الشام ، وإلى أي مكان ذهب في الطور ليجد كعبا ، هل في جبل الطور ، في معبد هناك أو خلوة أو مسجد في البراري ؟!..

إن خروج أبي هريرة إلى الطور يثير مجموعة من الإشكالات ، وإن روايته لهذا الخروج دون غيره تثير إشكالات أخرى ، فهو بذلك يفتخر به ، وكأنه موسى خرج للقاء العبد الصالح في مجمع البحرين ليعلمه مما علم رشدا .. وأنه قد أدرك بغيته ، وجلس مع الحبر العالم ، وعرض عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقه كعب الأحبار بالتوراة ؟!؟؟ ثم رجع بعلم خاص مصدق بالتوراة ؟!..

بين التوراة والحديث النبوي:

روى مالك عن أبي هريرة قال:

-فكان فيما حدثته أن قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ، فقلت بل هو في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ¹¹⁵.

وروى النسائي عن أبي هريرة قال:

-فمكثت أنا وهو يوماً أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثني عن التوراة ، فقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ، ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة ¹¹⁶.

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-فكان فيما حدثته أن قلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ، فقلت

¹¹⁵ -الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب الداء للصلاة حديث 222.

¹¹⁶ -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم¹¹⁷ .

-فحدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة (...) فقال كعب : صدق الله ورسوله هي في كل سنة مرة ، قلت : لا ، فنظر كعب ساعة ثم قال : صدق الله ورسوله هي في كل شهر مرة ، قلت : لا ، فنظر ساعة فقال : صدق الله ورسوله هي في كل جمعة مرة ، قلت : نعم ، فقال كعب : أتدري أي يوم هو ، قلت وأي يوم هو ، قال : فيه خلق الله آدم وفيه (...)¹¹⁸ .

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال :

-قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، فقلت : بل في كل جمعة ، قال : فقرأ كعب التوراة فقال : صدق النبي صلى الله عليه وسلم¹¹⁹ .

وتبعاً لهذه الروايات فإن ما حدث به أبو هريرة من حديث نبوي ، كان كعب يعرضه على التوراة ويمحصه ويصدقها بها ، وهو ما يجعل كعباً وتوراتيه مصداقاً لما لأبي هريرة وحديثه .. والملاحظ أن كعباً وإن كان يقول صدق الله ورسوله ، فإنه كان يحاول تغليب أبي هريرة ، فكان يجعل ذلك اليوم في كل سنة مرة ، ثم ينظر إلى التوراة فيجعله في كل شهر

117 - مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912 .

118 - مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

119 - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882 .

مرة، ثم ينظر إلى التوراة فيجعله في كل أسبوع مرة، ولولا " نباهة " أبي هريرة الذي كان يرفض توجيهات كعب لاستطاع هذا الأخير أن يضلله، فهو وإن كان يقرأ التوراة فهو يكذب ، كما سيشهد بذلك عبد الله بن سلام في الفقرة الموالية.

إن رحلة أبي هريرة إلى الطور ، كانت من أجل عرض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على كعب الأخبار ليصدقها بالتوراة ، ولقد نجح أبو هريرة في مهمته -رغم خداع كعب- وصدق ما يحمله من أحاديث بما في توراة كعب ، ثم قفل راجعا من حيث أتى؟!..

إن رحلة أبي هريرة وكعبه وطوره وما تحمله من رمزية إسرائيلية، لتجعل من معابد اليهود قبلة لنا تشد إليها الرحال ، ومن أخبارهم علماء لنا تعرض عليهم الأخبار ، ومن كتابهم ميزانا لما عندنا يقوم بدور التصديق والهيمنة ..

ولقد كان يدرك أبو هريرة ما تثيره قصة الرحلة إلى الطور من إشكالات ، فضمنها ما يصلح أن يكون ردا على كل اعتراض ، ومن ذلك لقاءه "بصرة بن أبي بصرة" .

بصرة بن أبي بصرة :

روى مالك عن أبي هريرة قال :

-فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري ، فقال : من أين أقبلت ، فقلت من الطور ، فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس يشك¹²⁰ .

وجاء في سنن النسائي عن أبي هريرة قال :

-فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال : من أين جئت ، قلت من الطور ، قال : لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته ، قلت له : ولم؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس¹²¹ .

إن هذا اللقاء الذي تم بين أبي هريرة وبصرة بن أبي بصرة إنما رواه أبو هريرة نفسه ، ولم يرو عنه أبو هريرة إلا هذا الحديث ، ولم يرو عنه أحد

¹²⁰ -الموطأ، مالك بن أنس ، كتاب النداء بالصلاة ، حديث 222.

¹²¹ - سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

من الصحابة الآخرين أو التابعين ولو حديثا ، ولا يعرفه أحد إلا أبو هريرة؟! .. بل إن المترجمين للرجال لم يزيدوا في ترجمته على ما ذكر في هذا الحديث من معلومات عنه؟!.

والملاحظ -تبعاً للرواية - أن بصرة بن أبي بصرة الذي لا يعرفه أحد كان عالماً بالحديث أكثر من أبي هريرة ، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديث " لا تعمل المطي " ، ومنه أخذه أبو هريرة الذي لم يكن يعلمه قبل خروجه إلى الطور ، ولو كان يعلمه ما خرج ، ولو كان بصرة بن أبي بصرة يعلم أنه سيخرج لما تركه يخرج بسلطة هذا الحديث .. وهو ما يبين أن خروجه إلى الطور لم يكن خروجاً عادياً، وإنما كان خروجاً مساوياً لما تعمل له المطي وهو المساجد الثلاثة .

ولعل هذه الرواية تريد التأكيد على قدسية المكان/الطور كما تحفل به الذاكرة الكتابية ، والذي هو مزار أو محج تعمل له المطي ، قبل العلم بهذه الرواية على الأقل ، ويقصده الناس لأخذ العلم التوراتي - طبعاً-، وما وجود كعب الأحبار به إلا لتحقيق هذا المراد .. وما قام به أبو هريرة من عرض للحديث على ما عند كعب من التوراة يندرج في هذا الإطار ..

إن هذه الرواية تريد التأكيد على قدسية المكان /الطور ، وعلمية العالم /كعب الأحبار ، ومرجعية التوراة وهيمتها على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي نفس الوقت فإنها ترد على المعترضين الذين

سيقولون: كيف يخرج أبو هريرة إلى الطور ويأخذ عن كعب الأحبار ويصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة؟؟! فيكون الجواب: إن أبا هريرة إنما خرج قبل علمه بحديث النهي عن الخروج، والذي إنما أعلمه به بصرة بعد رجوعه من الطور، ولو علمه قبل لم يخرج! إن بصرة بن أبي بصرة الذي ذكرته رواية كل من مالك والنسائي سيتحول عند الإمام أحمد إلى أبي بصرة بدل بصرة بن أبي بصرة.

والملاحظ أن الإمام أحمد يروي هذا الحديث بنفس السند الذي رواه به النسائي من طريق مالك وهي الرواية الأخرى ، والملاحظ أن هذا الاسم يتكون من كلمة واحدة وهي بصرة ، وأبوه - طبعا - هو أبو بصرة ، فهو بذلك بصرة بن أبي بصرة ، والإمام أحمد في روايته ذكر أن اسمه هو أبو بصرة. وهو ما جعل المترجمين يختارون في ترجمته فيخلطونه بغيره مما لا علاقة له به ..

إن بصرة بن أبي بصرة الذي أعلم أبا هريرة بحديث المطي ، يصبح مبهما في إحدى روايتي مسلم لهذا الحديث ، يقول مسلم: "عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"¹²² ، فالإمام مسلم لم يذكر لنا بصرة هذا ، وإنما قال "يلبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر لنا واسطة هذا البلوغ ، والذي

122 - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، حديث 2475.

هو بصرة حسب روايتي مالك والنسائي ، وأبو بصرة حسب روايتي أحمد عن مالك ، فيظن القارئ الذي لم يطلع على هذه الروايات أن أبا هريرة إنما روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة.

إن الإمام مسلم قال في الرواية الأخرى بسنده: أنه سمع أبا هريرة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد أيلياء¹²³.

وهكذا يغيب بصرة بن أبي بصرة أو أبو بصرة أو صيغة إيهام الواسطة (يبلغ به) ، ويتحول الأمر إلى عننة و(أنانة) مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة أبي هريرة عند مسلم في هذه الرواية الثانية ، وعند البخاري¹²⁴، وعند النسائي¹²⁵ في رواية أخرى ، وأبي داود¹²⁶ والدارمي¹²⁷ وأحمد¹²⁸ في روايات أخرى كذلك..

وهكذا يتحول أبو هريرة الذي لم يكن عالماً بالحديث قبل لقائه بهذه الشخصية المجهولة ، إلى ناقل للحديث عن رسول الله مباشرة ومن غير واسطة ، ويغيب السياق الذي ورد فيه الحديث ، وهو سياق الخروج إلى

123 - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، حديث 2476.

124 - صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، حديث 1115.

125 - سنن النسائي ، كتاب المساجد ، حديث 693.

126 - سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، حديث 1738.

127 - سنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، حديث 1385 .

128 - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، أحاديث 6893 ، 6951 ، 7410 ، 10103.

الطور لملاقاة كعب الأخبار من طرف أبي هريرة ، كما غاب هذا الناصح
الذي لا يعرفه إلا أبو هريرة والذي استشهد عليه بهذا الحديث .

كذب كعب الأحبار :

روى مالك عن أبي هريرة قال:

-قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ، فقلت : بل في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته به في يوم الجمعة ، فقلت قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، قال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، فقلت ثم قرأ كعب التوراة ، فقال: بل هي في كل جمعة ، فقال عبد الله بن سلام: صدق كعب¹²⁹ .

وفي حديث النسائي عن أبي هريرة قال :

-فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة (...) فلقيت عبد الله بن سلام فقلت: لو رأيتني خرجت إلى الطور (...) قال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، قلت: ثم قرأ كعب فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة ، فقال عبد الله بن سلام: صدق كعب¹³⁰ .

¹²⁹ - الموطأ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 1413 .

¹³⁰ - سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413 .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-قال كعب ذلك في كل سنة مرة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب وما حدثته عن يوم الجمعة ، فقلت له : قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، قال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، ثم قرأ كعب التوراة فقال : بل هي في كل جمعة ، قال عبد الله بن سلام : صدق كعب ¹³¹ .

-فقال كعب صدق الله ورسوله هي في كل سنة مرة قلت : لا ، فنظر كعب ساعة ثم قال : صدق الله ورسوله هي في كل شهر مرة ، قلت : لا ، فنظر ساعة فقال : صدق الله ورسوله في كل جمعة مرة ، قلت : نعم (...) فأخبرت عبد الله بن سلام بقول كعب ، فقال : كذب كعب ، قلت : إنه قد رجع إلى قولي ¹³² .

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال :

-قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، فقلت بل في كل جمعة ، قال فقرأ كعب التوراة فقال : صدق النبي صلى الله عليه وسلم ¹³³ .

131 - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912 .

132 - مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

133 - سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882 .

ومجموع هذه الروايات تفيد أن كعبا كان يتحايل على أبي هريرة في مسألة الجمعة لثلا يكون فضلها مرة في كل أسبوع ، فيذكر له أنها تكون مرة في السنة ، ويعترض أبو هريرة على هذا التوجيه ، ويذكر له أنها تكون مرة في الشهر ، ويعترض أبو هريرة مرة أخرى ، حتى يصدق كعب الحديث النبوي فيقول صدق الله ورسوله هي في كل أسبوع مرة .. وعندما يعرض أبو هريرة الأمر على عبد الله بن سلام فإنه يخبره أن كعبا كان يكذب عليه في أول الأمر ، ولم يصدق إلا في آخره ..

والسؤال هو : لماذا يخرج أبو هريرة إلى الطور من أجل حبر يشهد هو نفسه أنه كذب عليه كما يشهد بذلك عبد الله بن سلام ؟! وهل كذب عليه في تحديد يوم الجمعة من الأسبوع ؟! لكن ما حدثه به من التوراة هو الذي يجب أن تهتم به الرواية ، وتكشف عن كذبه فيه لأنه يتعلق بمعرفة يبنى عليها الاعتقاد والتصور والسلوك ، لا بمعرفة عادية يتحدد فيها يوم الجمعة من السنة أو الشهر أو الأسبوع ؟! ..

أحاديث أم إسرائيليات :

روى مالك عن أبي هريرة قال :

فكان فيما حدثته به أن قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه¹³⁴.

روى النسائي عن أبي هريرة قال:

-فقلت له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ، ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح مصيخة حتى تطلع الشمس شققا من الساعة إلا ابن آدم ، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه¹³⁵.

¹³⁴ -الموطأ، كتاب النداء للصلاة، حديث 222.

¹³⁵ -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

ورواه أبو داود¹³⁶ بنفس المعنى مع اختلاف طفيف في اللفظ .

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال :

-خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة ، وفيه أهبط منها وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلى فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه¹³⁷ .

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال :

-حتى أتينا على ذكر يوم الجمعة ، فقلت: إن رسول الله صلى عليه وسلم قال : إن فيها لساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه¹³⁸ .

وروى أحمد في أحاديث متنوعة مثل هذا ومنه:

-فكان فيما حدثته أن قلت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققا من الساعة إلا الجن والإنس

136 -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882 .

137 -سنن الترمذي ، كتاب الجمعة ، حديث 453 .

138 -سنن الدارمي كتاب الصلاة، حديث 1523 .

وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه ¹³⁹.

-عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو في صلاة يسأل الله خيرا إلا أتاه إياه قال ، وقللها أبو هريرة بيده ¹⁴⁰.

-حتى أتينا على ذكر الجمعة فحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه (... فقال كعب أتدري أي يوم هو ، قلت : وأي يوم هو ، قال : فيه خلق الله آدم وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين الجن والإنس خشية القيامة ¹⁴¹.

والملاحظ أن أكثر هذه الروايات لم يذكر إلا ما قاله أبو هريرة لكعب ولم يذكر لنا ما قاله كعب لأبي هريرة من التوراة في شأن الجمعة . وكل هذه الروايات ورد فيها ذكر الساعة التي في الجمعة ، والتي لا يصادفها عبد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه. وبعضها وصف هذا اليوم وما كان فيه وما يكون منسوباً إلى حديث أبي هريرة . وواحداً منها فقط فصل في المسألة ، وهو حديث أحمد ، فبين أن جزءاً من الخير مرفوع للرسول صلى الله عليه

¹³⁹ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912 .

¹⁴⁰ -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 11198 .

¹⁴¹ -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

وسلم وهو قوله : "إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه" ، وهو ما أجمعت عليه الروايات ، وجزء هو لكعب الأحبار يقرأه من التوراة ، وهو جواب على سؤال طرحه كعب على أبي هريرة حيث قال :

-أتدري أي يوم هو ؟ ، قلت : وأي يوم هو ؟ ، قال : فيه خلق الله آدم ، وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين الجن والإنس خشية القيامة¹⁴² .

وبذلك يكون هذا الحديث أكثر ملائمة لقول الروايات : فكتبت أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثني عن التوراة ، وإلا فأين حديث التوراة الذي حدث به كعب ؟!

إن جزءا من حديث كعب دخل في حديث أبي هريرة ، فأصبح الجميع حديثا مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات ، وإن كانت روايات أخرى قد اكتفت بذكر الجزء المرفوع فقط.. وإن حذف الجزء المتعلق بلقاء أبي هريرة بكعب الأحبار قد ساهم في هذا الغلط الكبير الذي جعل كلام كعب كلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

142 -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675.

مع عبد الله بن سلام:

ففي رواية مالك عن أبي هريرة قال :

-ثم قال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هي ، قال أبو هريرة فقلت: أخبرني بها ولا تضن علي ، فقال عبد الله بن سلام : هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال أبو هريرة فقلت : وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، وتلك ساعة لا يصلي فيها ، فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي ، قال أبو هريرة فقلت : بلى ، قال : فهو ذاك

143

وروى النسائي من حديث أبي هريرة أنه قال :

-فقال عبد الله : صدق كعب ، إني لأعلم تلك الساعة ، فقلت: يا أخي حدثني بها قال : هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس ، فقلت أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة ، وليست تلك الساعة صلاة ، قال : أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى وجلس ينتظر

143 - الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 222.

الصلاة لم يزل في صلاته حتى تأتيه الصلاة التي تلاقيها ، قلت : بلى ، قال: فهو كذلك ¹⁴⁴.

وروى أبو داود من حديث أبي هريرة قال:

-فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أية ساعة هي ، قال أبو هريرة فقلت له : فأخبرني فقال عبد الله بن سلام : هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها ، فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي ، قال قلت: بلى ، قال: هو ذاك ¹⁴⁵.

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة قال :

-فلقيت عبد الله بن سلام فذكرت له هذا الحديث فقال : أنا أعلم بتلك الساعة فقلت : أخبرني بها و لا تضنن بها علي ، قال : هي بعد العصر إلى غروب الشمس ، فقلت : كيف تكون بعد العصر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي ، وتلك الساعة لا يصلي فيها ، فقال عبد الله بن سلام: أليس قد قال رسول الله صلى الله

¹⁴⁴ -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413،

¹⁴⁵ -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882.

عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة ، قلت : بلى ، قال : فهو ذاك¹⁴⁶ .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-قلت : إنه قد رجع إلى قولي ، فقال : أتدري أي ساعة هي ، قلت : لا ، وتماكنت أخبرني أخبرني فقال : هي فيما بين العصر والمغرب ، قلت : كيف ولا صلاة ، قال : أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة¹⁴⁷ .

تحدث هذه الروايات عن لقاء أبي هريرة بعبد الله بن سلام بعد رجوعه من لقاء كعب الأحبار الذي تحدث وإياه عن يوم الجمعة من التوراة ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثار عبد الله بن سلام ساعة الاستجابة في هذا اليوم والتي يعلم وقتها ، مما جعل أبا هريرة يلح عليه في السؤال حتى يعلمه بها ، وأجابه عبد الله بن سلام بأنها في آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغرب الشمس ، واعترض أبو هريرة بكون تلك الساعة ليست ساعة صلاة ، والحديث المثار للمناقشة يحدد وقتها بوقت الصلاة ، ويرد عليه بن سلام بحديث نبوي يبين أن الجلوس للصلاة وانتظارها صلاة ، فيوافقه أبو هريرة على توجيهه ، إن رواية أبي هريرة

¹⁴⁶ -سنن الترمذي ، كتاب الجمعة ، حديث 453.

¹⁴⁷ -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675.

تتمحور حول حديث: إن في الجمعة ساعة لا يصادفها مسلم يصلي فيدعو الله خيرا إلا أعطاه إياه ، وقد عرض أبو هريرة هذا الحديث على كعب الأحبار فبين له هذا اليوم وماذا فيه من فضائل - انطلاقا من التوراة-، وعرض هذا الحديث على عبد الله بن سلام فبين له ساعة الاستجابة في هذا اليوم - انطلاقا من التوراة كذلك - ، وناقش أبو هريرة كعبا في اليوم ، وناقش عبد الله بن سلام في الساعة . وكما استطاع عبد الله بن سلام إقناع أبي هريرة بكون الساعة التي في الجمعة إنما هي بعد العصر مستشهدا عليها بحديث انتظار الصلاة ، فقد استطاع كعب إقناع أبي هريرة بأن يوم الجمعة خلق فيه آدم وأهبط من الجنة وفيه تقوم الساعة، وكما سأل عبد الله بن سلام أبا هريرة : أتدري أي ساعة هي ؟ فقال : أخبرني بها ولا تضن بها علي فأجابه ، فكذلك سأله كعب الأحبار قبله : أتدري أي يوم ؟ فقال : وأي يوم هو ؟ فوصفه له كعب انطلاقا مما عنده من التوراة. والسؤال هو : لماذا يصر أبو هريرة على مقابلة الإسرائيليين وسؤالهم عن قضايا الدين ومنها يوم الجمعة ، كعب في الطور وعبد الله بن سلام في المدينة ، وبصرة بن أبي بصرة في غير مكان ؟

إن كعب الأحبار - حسب الرواية - قد قام بمناورة كشفها كل من أبي هريرة وعبد الله بن سلام ، فقال أبو هريرة : لا، وقال بن سلام : كذب

كعب ، ولكن هل المناورة في تحديد يوم الجمعة من السنة والشهر والأسبوع أم في وصف هذا اليوم وما طراً ويطراً فيه ؟!

وإن عبد الله بن سلام -حسب الرواية- قد أثار وصفه لوقت الساعة إشكالا لدى أبي هريرة قبل أن يستشهد عليه بحديث انتظار الصلاة ، أو لم تكن هذه المناقشة مناورة إسرائيلية ثانية لتحديد وقت ساعة الاستجابة وفق المفهوم الإسرائيلي؟ وماذا عن بصرة بن أبي بصرة ، أو ليست هذه كذلك مناورة إسرائيلية ثالثة لتبرير خروج أبي هريرة إلى الطور ولقائه كعب الأحبار من جهة ، ومن جهة ثانية لجعل مسجد إيلياء أو بيت المقدس من المساجد التي يقصدها الحجاج وتشد إليها الرحال ؟!

إن عبد الله بن سلام الإسرائيلي - الذي تقول الروايات أنه قد أسلم - إنما يتحدث مما عنده من الكتاب في مسألة ساعة الاستجابة ، وهو ما سنتعرض له بتفصيل في مبحث (ساعة الاستجابة) . ويرأب الصدع الموجود في توجيهه بحديث انتظار الصلاة حسب الرواية .

ورغم أن أبا هريرة لم يكن يعلم عن وقت هذه الساعة شيئاً ، وتهالك على عبد الله بن سلام : أخبرني بها ولا ترضن بها علي ، باتفاق مجموع الروايات المتحدثة عن الحديث في سياقه ، وهو ما يفيد أن أبا هريرة لم يأخذ هذا الخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أخذه من عبد

الله بن سلام بعد مجيئه من رحلة الطور التي كانت بعد العهد النبوي وزمن كعب الأحبار .

رغم هذا فقد أصبح هذا الخبر الإسرائيلي حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول فيه أبو هريرة فيما رواه كل من مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده :

-أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل¹⁴⁸ .

لقد تحول أبو هريرة الذي لم يكن له علم بالحديث عندما ناقش عبد الله بن سلام وكان يلح عليه في الطلب أن يعلمه إياه ، إلى راو لهذا الخبر مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث أخذ بيده وقال له الحديث . وهكذا نرى أن مجموعة من الأخبار الواردة في هذه الرواية قد ذكر أبو هريرة أنه لم يكن يعلمها قبل أخذها عن رواتها :

1- ماهية يوم الجمعة عن كعب الأحبار .

¹⁴⁸ -صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، حديث 4997 . ومسنده أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7991 .

2- لا تعمل المطي عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري.

3- ساعة الاستجابة من يوم الجمعة عن عبد الله بن سلام .

فتحولت هذه الأخبار - بعد فصلها عن سياقها الروائي - إلى أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذها أبو هريرة عنه مباشرة . وللحسم في مصدريّة هذه الأخبار هل هي أحاديث نبوية أم أخبار إسرائيلية فلا بد من عرضها على كل من أسفار الكتب المقدسة من جهة وما ورد في القرآن الكريم من جهة ثانية.

خلق آدم يوم الجمعة:

ورد في سفر التكوين ، وهو أول أسفار الكتاب المقدس ، وفي أول إصحاح منه ، حديث عن بدء الخلق الذي تم في ستة أيام ، ويفصل الكتاب المقدس عملية الخلق يوما يوما ، إلى أن يصل إلى النهاية حيث هيا الله كل شيء ثم خلق الإنسان وسخر له كل شيء في اليوم السادس في آخر الخلق ، (وكان مساء وكان صباح يوما سادسا)¹⁴⁹ (وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به ، فاستراح فيه من جميع ما عمله)¹⁵⁰ .

وذكر القرآن الكريم خلق الوجود في ستة أيام في سبعة مواضع ، نذكر منها قوله تعالى : "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب"¹⁵¹ . غير أن الأيام المذكورة ليست هي أيام الناس هذه "الأحد ، والاثنين والثلاثاء والجمعة.." وإنما تحدث القرآن عن أيام لا يعلمها إلا هو ، ولا تخضع لليوم الأرضي الذي يحكمنا : "وإن

149 -الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول ،مقطع 31.

150 -الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح الثاني ، مقطع 2.

151 -سورة ق آية 38.

يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون" ¹⁵² "تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" ¹⁵³ .

أما خلق الإنسان فلم يكن ضمن خلق السماوات والأرض وأيامها الستة، وإنما بعد أن هيا كل شيء ، وأخبر الملائكة بأنه خالق بشرا من طين ، "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" ¹⁵⁴ . ومن ثم فلا علاقة بين يوم الجمعة التوراتي الذي ينسب عليه يوم سبتهم التوراتي والأيام الستة التي خلقت فيها السماوات والأرض ، وبين اليوم الذي خلق الله فيه آدم والذي لم يشر إليه القرآن لعدم فائدته ، وبذلك يكون ما جاء في الرواية منقولا عن التوراة ، سواء عن طريق كعب الأحبار كما تنص عليه رواية أخرى ¹⁵⁵ ، أو عن طريق أبي هريرة من مصدر آخر إسرائيلي؟!!

¹⁵² -سورة الحج آية 47.

¹⁵³ -سورة المعارج آية 4.

¹⁵⁴ -سورة الحجر آية 29.

¹⁵⁵ - روى أحمد عن أبي هريرة قال :- فدخلت على عبد الله بن سلام فسألت عنها، فقال : خلق الله آدم يوم

الجمعة وأهبط إلى الأرض يوم الجمعة ، وفيه تقوم الساعة وهي آخر ساعة" مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ،

حديث 22663.

وفيه تقوم الساعة:

ورد في الإنجيل عندما سأل التلاميذ المسيح عيسى بن مريم عن نهاية العالم، وأخبرهم عن الأحداث العظيمة التي تطرأ فيه ، قال لهم : "صلوا لكي لا يكون هروبكم في شتاء أو سبت ، لأنه ستكون حينها أحداث عظيمة جدا لم يكن منذ البدء وإلى يوم الناس هذا مثلها ولن يكون" ¹⁵⁶. ثم قال: " أما عن ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا أحد يعرفها ، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن ، الذي يعرفها هو الأب وحده" ¹⁵⁷.

وعندما نعود إلى القرآن الكريم ليحدثنا عن أمر الساعة ، فإن الله سبحانه وتعالى في معظم آيات الكتاب يؤكد فجائيتها وعدم علم أحد من العالمين بوقتها . (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السماوات و الأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأني خفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ¹⁵⁸).

¹⁵⁶ -إنجيل متى ، إصحاح 24 ، مقطع 21.

¹⁵⁷ -إنجيل متى ، إصحاح 24 ، مقطع 36.

¹⁵⁸ -سورة الأعراف ، آية 187 .

وقال سبحانه : " والله غيب السماوات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير ¹⁵⁹ . " والنصوص في هذا المعنى كثيرة كلها تشير إلى فجائية الساعة وبغتتها وعدم علم أحد من العالمين بها ، وتحديد اليوم الذي تقوم فيه الساعة يناقض هذه الفجائية ، ويجعل الناس على الأقل ينتظرون يوما في الأسبوع ، وقد آمنوا طيلة الأسبوع من قيامها ..

وبهذا يؤكد كل من الإنجيل والقرآن أن لا أحد من الناس يعرف متى تقوم الساعة . إلا أن المسيح في الإنجيل يدعو تلاميذه لأن يصلوا لكي لا يكون ذلك في شتاء أو سبت .. وهو بذلك يريد أن يجنبهم وقوع الأحوال العظيمة في يوم السبت المقدس عندهم...

غير أن روايات أبي هريرة تعكس الآية ، فإذا كان المسيح يأمر تلاميذه بالصلاة كي لا يكون ذلك اليوم في سبت ، فإن هذه الأحاديث تؤكد أنه في يوم الجمعة ، فيصير بذلك يوم الجمعة يوم انتظار الأحوال .. ولعل المتأمل في الصفات التي وصف بها يوم الجمعة يلحظ ذلك ، فهو اليوم الذي أهبط فيه آدم من الجنة، وهو اليوم الذي قبض فيه ، وهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة ، والخلائق كلها مصيخة من طلوع الشمس إشفاقا من القيامة ، إلا الثقلين ، والرواية تريد من الثقلين أن ينتبهوا إلى ما أشفقت

¹⁵⁹ -سورة النحل آية 77.

منه الخلائق كلها فيشفقون مثلهم ، وهو ما يجعل هذا اليوم يوم المآسي والأهوال والخوف والفرع والإشفاق ، فمأساة الإنسانية -حسب التصور الكتابي- كان السبب فيها هو آدم عندما أهبط من الجنة، بخطيئته ، ولازالت الخطيئة التي قام بها هي سبب الشقاء الذي نعيش فيه ، وإن الإيمان المسيحي هو إحدى المحاولات للخروج بالإنسانية من مأساتها التي سببها رجل واحد، وسيخلصها منها رجل واحد هو المسيح الذي قدم نفسه فداء عنها ، وبذلك فالإيمان به مخلصا هو طريق خلاص البشرية ولا سبيل لها غيره

إن روايات أبي هريرة ، وإن كانت تتحدث عن خير يوم طلعت فيه الشمس ، فهي في الواقع تتحدث عن شر يوم طلعت فيه الشمس، يوم الخطيئة والخروج من الجنة وانتظار أهوال القيامة ، ولا نجد في القرآن الكريم إلا مخالفة صريحة لهذا الاتجاه ، فيوم الجمعة هو يوم عبادة وذكر وابتغاء من فضل الله ، وليس يوم خطيئة ولا فرع أكبر ، ومن ثم فإن حديث أبي هريرة الذي أصبح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما هو حديث كعب الأحبار استطاع أن يضل به أبا هريرة ، فيصف له فيه يوم الجمعة بما يجعله شر يوم طلعت فيه الشمس ، وليس خير يوم طلعت فيه ..

والسؤال المطروح هو : هل الرواة عن أبي هريرة هم الذين رفعوا الحديث الموقوف على كعب الأخبار عندما فصلوه عن سياقه ، ظنا منهم أنه حديث مرفوع ؟ أم أنه أبو هريرة نفسه هو الذي روى هذا الحديث مرة موقوفاً وأخرى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي كل الحالات فإن كتب السنن توجد فيها أحاديث مرفوعة وموقوفة ، وهو ما يوهم بأنها جزء من الدين الإسلامي وهو منها براء ؟!!.

ولعل هذا الوجود لمثل هذه الأخبار لي طرح على مصداقية هذه الكتب ونقلها للإسلام الحنيف شكوكا كثيرة .. كما يطرح على المنهجية المعتمدة في علوم الحديث وقواعده ورجالاته وتصحيحه وتضعيفه وتعديله وتجريحه ومصطلحاته .. أسئلة عميقة تدفع الباحثين إلى إعادة قراءة هذه العلوم بمنهجية جديدة تتجاوز ما هي عليه الآن ..

آخر ساعة من يوم الجمعة:

ذهبت معظم الروايات إلى أن ساعة الاستجابة في يوم الجمعة إنما هي في آخر ساعة فيه ، وهو قول عبد الله بن سلام لأبي هريرة. وعندما نتأمل هذا القول فإننا نجد أنه يتوافق توافقاً كاملاً مع نظرية الخلق التوراتية وفكرة اليوم التوراتي ، فأما نظرية الخلق فتذهب إلى أن الله قد خلق العالم في ستة أيام ، وتوج هذا الخلق بخلق الإنسان في آخر اليوم السادس ، وأما فكرة اليوم فتبدأ من المساء إلى المساء الثاني (فكان صباح وكان مساء يوماً سادساً) ،

ومن ثم فآخر يوم الجمعة يكون بعد العصر وقبل المغرب .. وحسب الرواية فإن أبا هريرة إنما أخذ هذا الخبر عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي العالم بالتوراة ، ولم يكن يعلمه من قبل ، بل إنه قد جادل بن سلام في كون ما يقوله يتناقض مع قول النبي صلى الله عليه وسلم " وهو يصلي " إذ هذا الوقت ليس وقت صلاة . لكن بن سلام استطاع أن يقنعه بحديث " انتظار الصلاة صلاة " ، ولو لم يقنعه لما قبل أبو هريرة توجيهه .. ورغم ذلك فقد روي الحديث من رواية أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل تلاميذ أبي هريرة هم الذين رووه مرة موقوفاً ومرة

مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أم أنه أبو هريرة نفسه هو الذي فعل ذلك، فرواه موقوفا ومرفوعا؟!

إن هذا الحديث كما الحديث الأول أراد صاحبه أن يضلل به أبا هريرة فذكر له أن ساعة الاستجابة إنما هي في غير وقت الصلاة ، بين العصر والمغرب ، وليس في وقت الجمعة : " يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " ¹⁶⁰ ، وهو بذلك يجعل أهمية يوم الجمعة تتجه إلى وقت دخول يوم السبت ، وتغفل قضية صلاة الجمعة كما أغفلها حديث كعب عندما تحدث عن فضائلها التي هي المهيول والفزع .. ومن ثم يصير فضل الجمعة هو عكس فضلها الذي نص عليه القرآن ، والذي هو ذكر الله في صلاة الجمعة وليس في آخر ساعة من النهار .. إن هذه الروايات تحاول أن تصد المسلم عن الفضل الحقيقي للجمعة فتشغله بفضل موهوم ، ولعل النقاش الذي جرى بين عبد الله بن سلام وأبي هريرة إنما غايته أن يحل إشكال التناقض الموجود بين حديث ساعة الاستجابة والذي فيه (وهو يصلي) وبين (الوقت الذي لا صلاة فيه) بتأويل استعمل فيه حديث آخر وهو (انتظار الصلاة إلى الصلاة) .. ولعل المتأمل في هذه الروايات يكتشف أن الاستدلال بالحديث من الأطراف المختلفة مكثف جدا ، وهو ما يبين أن

¹⁶⁰ -سورة الجمعة آية 9.

هذه الروايات هي صياغة روائية لمجموعة من الأخبار المتداولة في عصر الرواية الشفوية ، هل كان أبو هريرة هو صاحب صياغتها ؟ إذ هو الراوي الوحيد لها ؟! هل كان لتلاميذه دخل في هذه الصياغة؟! وكيفما كان الحال فهذه الروايات أخبار إسرائيلية وكتابية كانت تبحث لنفسها عن موطن قدم في الثقافة الإسلامية في عصر الرواية الشفوية ، وكان أبو هريرة أحد التلاميذ النجباء والقصاص البارعين الذين استطاعوا تحقيق هذا الأمر واستطاعوا ترويجه والاستشهاد عليه ، أولا بالحديث النبوي، ثم برفعه ليصبح حديثا نبويا؟! ويصبح أبو هريرة - الذي دلس شيوخه من أهل الكتاب وغيرهم - قد روى هذه الأحاديث مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتصبح رواياته محط نقاش وتساؤل واتهام بالإكثار والتقول ، ويتصدى أبو هريرة لذلك جميعا مدعيا أنه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحضر إذا غابوا ، ويذكر إذا نسوا لأن له كرامات خصه بها النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ، وهو ما تنفيه هذه المدارس وتبين أن إكثاره ومخالفته إنما يرجع إلى "المهارة الحرفية في القص والتحديث" .

فهرست الموضوعات

4	الإكثار من الرواية وتساؤل الناس عليه
5	الأنصار والمهاجرون لا يروون مثل روايته
6	كتمان العلم
10	ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
15	انشغال المهاجرين والأنصار بأسواقهم وأموالهم
18	مع عائشة أم المؤمنين
24	يحفظ فلا ينسى
29	بين أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص
33	بشبع بطني
41	مع ابنة غزوان
45	هل يعد أبو هريرة صحابيا ؟
49	تدليس أبي هريرة
62	الخروج إلى الطور
65	بين التوراة والحديث النبوي
68	بصرة بن أبي بصرة

73 كذب كعب الأخبار
76 أحاديث أم إسرائيليات ؟
80 مع عبد الله بن سلام
87 خلق آدم يوم الجمعة
89 وفيه تقوم الساعة
93 آخر ساعة من يوم الجمعة
96 فهرست الموضوعات

للحصول على نسخ من الكتاب يرجى الاتصال
بالمؤلف على الرقم الهاتفي التالي : 068.23.34.53



الإيداع القانوني رقم : 2002/832